

المجتمع

— مجلة المسلمين في أنحاء العالم —

العدد (2189) - السنة (55) شعبان 1445 هـ / 1 مارس 2024 م



100 عام على إسقاط الخلافة ماذا خسر العالم؟



الكويت 750 فلساً، السعودية 10 ريالات، البحرين دينار بحريني، قطر 10 ريالات، سلطنة عمان ريال عماني، الأردن 1.750 دينار أردني، لبنان 4500 ليرة، المغرب 23 درهماً

USA \$ 5 - Canada \$ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.K £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

المنصات العربية



mugtama magazin



@mugtama



@mugtama



@mugtama



mujtamaa@gmail.com



@mugtamaa



@mugtamaa

English platforms



@almujtama_en



@almujtama_en



@AlMujtama_en



@almujtama_en

AR

WWW.MUGTAMA.COM

EN

WWW.EN.MUGTAMA.COM





لمجتمع

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك:

العنوان:

صندوق البريد:

الرمز البريدي:

تليفون: 0096597228290 - تليفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN000000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

17- د.ك

الدول العربية

10- د.ك

داخل الكويت

**اشترك
أو جدد**

30- د.ك

المؤسسات والشركات

25- د.ك

الدول الأجنبية



في هذا العدد:

100 عام على إسقاط الخلافة.. ماذا خسر العالم؟

- 6. د. عبدالله الشاذلي: هناك خذلان عربي وإسلامي وتواطؤ دولي تجاه أهل غزة
- 8. 100 عام على سقوط الخلافة.. ماذا خسر المسلمون والعالم؟
- 12. القوى الأوروبية وتفتيت الوحدة الإسلامية.. قراءة تاريخية
- 18. الخلافة معلم الإسلام المجني عليه!
- 24. الحركات والمشاريع الإسلامية ومحاولة سد الفجوة.. نظرة تقييمية
- 38. سقوط الخلافة العثمانية في مرآة السينما والدراما العربية والعالمية
- 44. هل تشهد السنغال أول انقلاب في تاريخها؟
- 52. وهبت رياح التغيير.. شعبان ورمضان
- 58. دروس ملهمة للأسرة المسلمة (2) .. صاحب البصمة الأولى
- 66. قطار العالم الإسلامي!

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملأ شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمِمَّا قُيِّدَ بِهِ رَبِّي أَلْمِمْ لَكُمْ لَا شَرِيكَ لِي، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي. ■

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الأراء المنشورة بالمجتمع، تعبر عن رأي أصحابها
وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب.
(٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي
(١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٩٥٣٩ - ٢٢٥١٤١٨٠

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

رأي المجتمع

وحدة مفقودة.. وأخرى منشودة

يُقبل شهر رمضان بأجوائه الإيمانية، وشعائره التعبدية على أمتنا الإسلامية وهي تعيش حدثاً استثنائياً في تاريخ الصراع الإسلامي الصهيوني، الذي تمثل القضية الفلسطينية أحد أبرز فصوله، بل تعتبر في مشهدها الحالي أكبر تحدٍ يعيشه المسلمون في صراعهم نحو البقاء كأمة اختار الله لها أن تكون الشاهدة على الأمم جميعاً.

ومع تلك الأجواء الروحانية التي ينتظرها أبناء الأمة في مشهد يعبر عن مظاهر الوحدة الإسلامية التي تعتبر مقصداً رئيساً للشعائر التعبدية، فإن الواقع الذي أفرزته معركة «طوفان الأقصى» مع قرب دخولها شهرها السادس، وإن كان أظهر الوحدة القلبية والتعاطف بين أبناء الجسد الواحد حزناً على آلاف الشهداء والجرحى من أبناء غزة ونسائها وأطفالها التي يعجز المجتمع بمؤسساته الحقوقية وآلائه الإعلامية حصر ما فعلته آلة الحرب الصهيونية، فإنها كذلك أظهرت عجز أمة فقدت الوحدة الفاعلة التي تعمل على جمع قواها ومقدراتها في مواجهة عدوها المتربص بها وبمقدساتها منذ فترة زمنية!

ولعل تلك الأحداث تجعل العقل العربي والإسلامي الذي عُمل على تشويه ثوابته ومبادئه من خلال الطعن في نموذج الخلافة الإسلامية ليتحسر على ماضٍ تليد لم تكن الوحدة الإسلامية تقف فيه عند الشجب والاستنكار والادانة وأبناء الأمة في بقعة من بقاع الإسلام يُنقص من أطرافها ويُنتهك من حرمانها، بل كانت وحدة فاعلة تحرك الجيوش لنفض غبار الذل والهوان عن أمة ترى أنه من العار المرور على جرح نازف لإخوانها بالسكوت أو النسيان. وإن تلك الأحداث لتأتي موازية لذكرى مرور قرن على إسقاط أقوى خلافة إسلامية توسعت رقعتها في أرجاء الأرض جغرافياً وزمانياً، وكانت سبباً في إظهار عزة الأمة ومنعتها حقبة من التاريخ؛ لتجعل مجلة «المجتمع» من خلال كتابها ومفكرها تقف مع قرائها الكرام على رصد وتحليل لأهم ما خسرت الأمة، بل العالم أجمع، بغياب تلك القوة التي كانت وحدة المسلمين تحت راية واحدة أقوى مظاهرها، ويلح واقع المسلمين في غزة العزة الذين توحدت عليهم قوى الغرب المسيحية واليهودية تحت راية صهيونية أن تقوم كل المؤسسات الدعوية والإعلامية وأصحاب المنابر الفكرية والحضارية بتسليط الضوء على هذا الواقع لتصحيح في عقول أبناء هذا الجيل حاجة أمة الإسلام إلى وحدة جامعة تعطيها مقومات البقاء وتحميها من عوامل اللاندثار والفناء متى صح في عقول أبنائها بأنها أمة الجسد الواحد عملاً ببناء الحق:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سُورَةُ الْعَمْرَانِ

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:

ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦

distribution@alanba.com.kw



الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:

www.saudidistribution.com

الإدارة العامة: الرياض

٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠

فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧

فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩

فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:

دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:

مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع

ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع

ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

في ندوة «طوفان الأقصى.. معركة الوعي» أقامتها «الإصلاح الاجتماعي» د. عبدالله الشايجي: هناك خذلان عربي وإسلامي وتواطؤ دولي تجاه أهل غزة



«طوفان الأقصى»
تحول كبير في
ديناميكية المشهد
بالشرق الأوسط

من نتائج المعركة
أن الشباب العربي
بات أكثر وعياً بما
يجري بالمنطقة

✍ كتب - المحرر المحلي:

أطول انتخابات في العالم وستجرى في نوفمبر القادم، فاستطلاعات الرأي تؤكد أن شعبية «بايدن» أصبحت في أدنى مستوياتها. ولفت إلى أن المعركة العسكرية التي فاجأت بها «حماس» الاحتلال الصهيوني بشكل صادم في ٧ أكتوبر قد وضعت ١٠ ظواهر حققتها «حماس» والمقاومة الفلسطينية.

وأضاف أن «إسرائيل» بوغت مرتين؛ الأولى: في حرب أكتوبر ١٩٧٣م عندما وصلت معلومات استخباراتية أن هناك تحركاً على الجبهتين المصرية والسورية ولم تتعامل معها، والثانية: المفاجأة الكبرى في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م؛ فكيف اقتحمت «حماس» الجدار الفاصل الذي كلف مليارات الدولارات؟ وكيف وصلت إلى الأراضي المحتلة حتى ٤٠ كيلومتراً؟ وكيف اشتبكت

«فلاديمير بوتين» الحرب على أوكرانيا، في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢م، احتل ٤ أقاليم في شرق أوكرانيا، وقتل ١٠ آلاف أوكراني في بداية الحرب؛ فقام الغرب بمحاكمته أمام الجنائية الدولية، وأصدرت حكماً ضده بالقبض عليه واتهموه بأنه «مجرم حرب»، بل إن رئيس جنوب أفريقيا أخبره بأنه سيتم اعتقاله إذا حضر قمة في بلاده تنفيذاً لحكم «الجنائية الدولية».. ولكن حينما قتل «نتنياهو» ٣٠ ألف مدني في غزة، وهناك ١٠ آلاف تحت الانقاض لم يستطع أحد إنقاذهم؛ فآين النظام العالمي؟

ويُمن الشايجي أن الغرب في ورطة؛ فالرئيس «بايدن» بدأ يتحرك ويطلق ما يسمى -وهماً- «حل الدولتين»، بعد أن أصبح وضع الديمقراطي صعباً خاصة مع انطلاق موسم الانتخابات التي تعد

الأخلاقي والقيمي، فأمریکا تدعم العدوان والطغيان والإبادة. وأوضح الشايجي أن «بنيامين نتياهو»، رئيس وزراء الاحتلال الصهيوني، يعلم أن اليوم الذي ستوقف فيه الحرب على غزة ستبدأ تشكيل اللجان لمحاكمته على تقصيره في ٧ أكتوبر ٢٠٢٢م، بعد أن نجحت المقاومة في تدمير هبة جيش الاحتلال في ظل اعتبار بعض «الإسرائيليين» أن ما حدث أكبر نكسة لليهود منذ المحرقة، وكلما طالبت الحرب فليس ذلك في مصلحة «نتياهو»، ولا الرئيس الأمريكي «جو بايدن».

وتطرق الشايجي إلى النفاق الغربي وازدواجية المعايير من خلال مقارنته بالحرب على أوكرانيا والحرب على غزة، مبيناً أنه حينما شن الرئيس الروسي

قال أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت د. عبدالله الشايجي: إن ما جرى في معركة «طوفان الأقصى» تحول كبير في ديناميكية المشهد في الشرق الأوسط.

وأضاف الشايجي، في ندوة نظمها جمعية الإصلاح الاجتماعي، الثلاثاء ١٣ فبراير ٢٠٢٤م، بعنوان «طوفان الأقصى.. معركة الوعي»، أن الحرب على غزة دخلت شهرها الخامس، التي لا يمكن أن توصف أنها طوفان للأقصى فقط، بل طوفان لانتزاع الحق ومعركة لانتصار الحق على الباطل.

وأشار إلى أن جيش الاحتلال «الإسرائيلي» هو الجيش الأكثر إجراماً في العالم بعد أن كان يطلق على نفسه أن لديه قيماً، فآين هذه القيم حينما يقتل ويقتص الأطفال والنساء؟ مؤكداً أن الإعلام الغربي التقليدي سقط في فخ الإفلاس

Sana

EAU DE PARFUM
100ML



منذ 1928
الشاي للعطور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com



@alshayaperfumes

وتابع الشايجي أنه في عام ٢٠١١م، قامت «حماس» بتبادل جندي واحد بأكثر من ١٠٠٠ سجين ومعتقل فلسطيني في السجون «الإسرائيلية»، بمن في ذلك قائد «حماس» في غزة يحيى السنوار.

وأشار الشايجي إلى أن الظاهرة الرئيسة تتمثل في فقدان «إسرائيل» لسمعته وتشتتها، حيث فشلت في تحقيق أهدافها العسكرية حتى الآن، وهو ما لم يحدث منذ عام ١٩٤٨م، وأضاف أن النتائج المختلفة أدت إلى ارتباك «إسرائيل» وفقدانها السيطرة على الموقف، مشيراً إلى أن «حماس» نجحت في بناء شبكة الأنفاق التي كانت تمتد إلى عمق ١٠ و ٢٠ متراً تحت الأرض، ولم يتوقعها أحد؛ ما جعل «إسرائيل» تواجه تحدياً جديداً لم تكن تتوقعه.

وأكد الشايجي أن المعركة الحالية هي الوعي، حيث بات الشباب العربي أكثر وعياً بما يجري في المنطقة، وأصبحوا أكثر تفهماً للقضية الفلسطينية وللتحديات التي تواجهها؛ ما يجعل «إسرائيل» تواجه تحديات جديدة في مجال الإعلام والوعي العام. وأضاف: منذ أكثر من

عام، حذرت في مقالات وندوات وتغريدات من أننا نتجه نحو حرب، بمجرد تشكيل حكومة «نتياهو»؛ بسبب الاتهامات الجنائية التي تواجهه التي تتضمن خيانة الأمانة والاستغلال الشخصي للسلطة، وهو ما دفعه لتشكيل حكومة متطرفة لإنقاذ نفسه.

وختم الشايجي حديثه بالتأكيد على أن المقاومة الفلسطينية، بقيادة «حماس»، تمثل نقطة تحول في مسار الصراع، محققة إنجازات عسكرية ونفسية تاريخية، ومُثِّلَةً حقيقية للشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال والظلم. ■

على مدى ساعات في انتكاسة للمخطط العسكري والاستخباراتي والأمني الصهيوني؟!

واعتبر الشايجي أن معركة «طوفان الأقصى» من أهم المعارك منذ عام ٢٠٠٨م؛ لأنه لم يحدث أبداً أن «إسرائيل» قاتلت داخل الأراضي الفلسطينية التي تحتلها، وهذا بحد ذاته إنجاز وتكتيك مميز، مشيراً إلى أن «إسرائيل» غير معتادة أن تخوض حرباً طويلة ومكلفة.

وبين أن العقدة لدى «إسرائيل» هي كيف نجحت «حماس» في بناء أنفاق غزة؛ ففي آخر حربين قالوا: إن «حماس» لم تشارك، والواضح أنها كانت تحضر لعملية نوعية فكانت «طوفان الأقصى».

وأشار إلى أن هناك خذلاناً عربياً وتواطؤاً دولياً وضعفاً إسلامياً، وأهل غزة يرددون ما كان يقوله السوريون ضد بشار الأسد: «ما لنا غيرك يا الله!» وما يحدث في غزة سيحدث في دول عربية والكل سيصبح بمفرده!

وتساءل الشايجي: هل يعقل أن نفعل هذا بالفلسطينيين وأن نتركهم في هذه المأساة يأكلون علف الحيوانات شمال غزة؟! أين (إنمّا المؤمنون إخوة) (الحجرات: ١٠)، و«انصر أخاك»؟!

وأكد أن التحول الذي أنتجته «طوفان الأقصى» هو في معركة الوعي، مشيراً إلى أن القضية الفلسطينية تهمشت خلال السنوات العشر الماضية كلياً، والسلطة الفلسطينية فقدت كل شيء فيها، حيث غرقت في الفساد والمحسوبية، وتعاونت أمنياً مع الاحتلال «الإسرائيلي».

وقال: إن ما يزعج «إسرائيل» ما يجري في العواصم الأوروبية من مظاهرات داعمة لفلسطين، مضيفاً أن «إسرائيل» بنت سردية كاذبة على مدى ٧٥ سنة بأنها الدولة الأكثر ديمقراطية وسط محيط من الاستبداد!

100 عام على سقوط الخلافة.. ماذا خسر المسلمون والعالم؟



في مارس هذا العام (٢٠٢٤م) نحل على المسلمين، بل العالم أجمع، ذكرى مرور قرن على سقوط الخلافة الإسلامية (العثمانية)، آخر دولة توحدت تحت لوائها أقطار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. في هذا التحقيق، تفتح «المجتمع» هذا الملف وتسبر أغوار تلك القضية التي شغلت المسلمين؛ أفراداً وجماعات ودولاً، على امتداد قرن مضى وما زالت، مستذكراً خسارة العالم والأمة الإسلامية وبإل هذا السقوط.

تحقيق: مجاهد الصوابي - حسن القباني:

بداية، يؤكد د. رفيق عبدالسلام، وزير الخارجية التونسي الأسبق، القيادي بحركة النهضة، لـ«المجتمع»، أن المسلمين خسروا الشيء الكثير بسقوط الخلافة، إذ وجدوا أنفسهم بما يشبه حالة يُنَمِّ سياسي، ونهباً للاحتلال الأجنبي، وإعادة رسم الحدود والخرائط بحسب أولويات وحسابات القوى الكبرى؛ بل تحول الإسلام موضع إدانة واتهام بكل السلبيات والردائل من عنف وإرهاب وتعصب وفشل سياسي وتنموي وغيره، وكأن الإسلام والمسلمين مصدر الشرور في عالم اليوم.

وأضاف عبدالسلام أن الإصلاحيين الإسلاميين مثل رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وعبدالله نديم، ومن قبلهم جمال الدين

الأفغاني، وغيرهم، كان لديهم طموح بتجديد الخلافة في إطار رابطة عربية تركية قوية، ولكن كانت الأحداث أكبر منهم جميعاً؛ إذ انتهى الأمر إلى «طلاق» تاريخي بين العرب والترك في إطار صعود القوميات، وتمزق شمل المسلمين تبعاً لذلك في كيانات وطنية هشة وضعيفة.

وأعقب ذلك اشتداد القبضة الغربية على العالم الإسلامي، ولكن خسارة العرب كانت أكثر وأثقل من غيرهم من أمم الإسلام الكبرى، فقد نجح الأتراك نسبياً في تشكيل كيان قومي وازن يضم منطقة الأناضول والرومل، بينما تحول العرب إلى كيانات قُطرية هشة وضعيفة ومتنازعة فيما بينها، وبموازاة ذلك تم غرس الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي.

وأشار إلى أن عالم الإسلام الذي يفوق

عدده اليوم ملياراً ونصف مليار مسلم يمتلك ثقلاً ديمغرافياً هائلاً وامتداداً جغرافياً واسعاً، ويتوفر على الثروات والمضايق والممرات والرسالة العالمية، ولكنه لا يمتلك صوتاً موحداً في عالم تنافسي وشرس، يحكم غياب الحد الأدنى من الانسجام وغياب الكيان السياسي الموحد الذي يعبر عن صوت الإسلام والمسلمين، رغم أن أغلب الأزمات والحروب والصراعات والكوارث تجري على أرض الإسلام، بينما تمكنت أمم أخرى منيعة من تثبيت أقدامها والوقوف بندية في وجه القوى الغربية الكبرى بعد عقود طويلة من الضعف والهوان بسبب وجود كيان سياسي يعبر عنها مثل الصين والهند مثلاً.

ولفت عبدالسلام إلى أن الخلافة كنموذج تاريخي تفكك ولن تعود الأمور لما كانت عليه؛

**الكتاني:
أعداء الأمة نشروا
القوميات الجاهلية
التي فرّقت الوحدة
الإسلامية**



**حمدادوش:
الأمة لا تزال
تمتلك عناصر
الإمكان والاستئناف
الحضاري مجدداً**



**شلبي:
غياب الخلافة
الإسلامية حرم العالم
أجمع من الاتزان
القيمي والأخلاقي**



**عبد السلام:
الخلافة كنموذج
تاريخي تفكّك ولن
تعود الأمور لما
كانت عليه**



الحديث، فهو الحدث الدراماتيكي الذي غيّر مجرى العالم العربي والإسلامي، بل غيّر وجه البشرية جمعاء.

ويؤكد حمدادوش أن القرن العشرين مثّل لحظة الانفجار الكبير للصراعات الدولية الصاخبة، التي غيّرت الخارطة السياسية في العالم، وكانت بداية هذا الانفجار الملتهب مع الحرب العالمية الأولى بين عامي ١٩١٤م و١٩١٨م، التي راح ضحيتها نحو ٣٧ مليون نسمة، وهو ما أثر على موازين القوى العالمية، وأدى إلى سقوط دول وإمبراطوريات، وعلى رأسها الخلافة الإسلامية، المتمثلة في الدولة العثمانية.

لقد كانت الأداة في إسقاط الخلافة الإسلامية النزعة القومية التي قادها كمال أتاتورك، الذي ربط تقدّم البلاد وتطورها بالتخلي عن الهوية الإسلامية: عقيدة وشريعة وسلوكاً، بمحاولات مستميتة لفصل تركيا عن بعدها التاريخي والحضاري، والتآمر مع الصهيونية العالمية والقوى الغربية من أجل انقراض عقد العالم العربي والإسلامي دون راية إسلامية جامعة.

ولفت حمدادوش إلى أن سقوط الحضارة الإسلامية، ثم الكيان السياسي لها بسقوط الخلافة رسمياً عام ١٩٢٤م، لا يعني السقوط الكلي لعناصرها، وذلك لبقاء الفكرة الإسلامية على مستوى الفرد والمجتمع، فلا تزال الأمة تمتلك عناصر الإمكان والاستئناف الحضاري

نتيجة غياب دولة الخلافة وعدم فعالية المسلمين، وسقوط كيان إسلامي حقيقي مؤخّذ يجمع كافة مقدرات الأمة الاقتصادية والتجارية، ويسيطر على الممرات المائية العالمية المهمة، كما غابت الجوانب الأخلاقية والقيمية الإنسانية، وتحولت إلى شريعة الغاب والإلحاد، وعلو قوى الشر على حساب القيم والأخلاق في عالم اليوم.

ويؤكد أن العالم خسر بتحويله إلى رهينة بيد الغرب والمسيحية الصهيونية المستتدة إلى ركائز دينية إنجيلية توراتية التي تسيطر على مقدرات العالم اليوم، وشكلت ركائز بناء الحضارة والقيم الغربية، وتم تثبيت ذلك في القانون الدولي والمؤسسات الدولية التي غاب عنها المسلمون تماماً.

ولفت شلبي إلى أن غياب الخلافة حرم العالم من الاتزان القيمي والأخلاقي الذي يدحض فكرة صراع الحضارات القائم على الاستبداد والظلم والإبادة الجماعية للأمم، وهذه أكبر خسارة قيمة خسرها العالم لاستعادة روحه التي غابت مع تلك الحضارة المادية التوراتية المتوحشة.

فيما يتحدث ناصر حمدادوش، البرلماني السابق والقيادي في «حركة مجتمع السلم» الجزائرية، لـ«المجتمع»، أن التاريخ المعاصر يسجل يوم ٣ مارس ١٩٢٤م كأسوأ محطة سوداء في جبين الإنسانية، فهو الذكرى المؤلمة للإلغاء الرسمي للخلافة الإسلامية بالعصر

لأن التاريخ لا يكرر نفسه، وقد جرت مياه كثيرة في النهر الإسلامي الكبير، ولكن من الممكن وجود شكل من أشكال الارتباط السياسي بين مختلف أمم الإسلام في إطار منظمة التعاون الإسلامي مثلاً، أو غيرها، على غرار الرابطة القارية العابرة لحدود الدولة القومية للاتحاد الأوروبي مثلاً، وهذا الأمر يقتضي رؤية ومشروعاً مشتركاً تقوده الأقطار الإسلامية الكبرى: مثل إندونيسيا وباكستان ومصر وتركيا والمملكة العربية السعودية وإيران، ووجود اتفاق بين هذه الدول الإسلامية الكبرى من شأنه أن يحيي شكلاً من أشكال الرابطة الإسلامية بما يشبه نظام الخلافة التاريخي، ولكن وفق المعطيات الجديدة والتحديات المستجدة.

دول وكيانات

من جانبه، يوضح عضو الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي لفلسطيني الخارج بشار شلبي، لـ«المجتمع»، أن خسارة المسلمين كبيرة بسبب سقوط الخلافة العثمانية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والعلمي والديني، وتحولت الأمة الواحدة إلى دول وكيانات، وتمزقت وحدة الأمة ودب الشقاق والخلاف والنزاعات بين أقطارها؛ وزُرع الكيان الصهيوني بينها ليعمق الفرقة والنزاع وسط المسلمين؛ فلا استقرار ولا نهضة ولا تنمية.

ويضيف شلبي أن ثروات أمّتنا الإسلامية نُهبَت، وسيادتها ومقدساتها انتُهكت، وحرية شعوبها سُلبت، كما خسرت البشرية كثيراً



من جديد، كما يقول د. عمر عبيد حسنة، فهي تمتلك رصيد التجربة الإنسانية ومختبر المعرفة التاريخية المتمثلة في النبوة الخاتمة، وتمتلك صفة النص السماوي المحفوظ والمستوعب للأفكار والقيم، وتمتلك العقيدة الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة، وتمتلك التجربة الواقعية السابقة للدولة والحضارة الإسلامية، وتمتلك امتداد النموذج التطبيقي لها عبر الزمان والمكان والإنسان.

ويوضح أن الحديث عن مأساة سقوط الخلافة الإسلامية في الماضي لا يشغلنا عن الحديث عن إمكانية الاستئناف الحضاري للأمة من جديد في الحاضر والمستقبل، وهو دور العلماء والمصلحين والمجددين.

القوميات الجاهلية

ويقول الشريف الحسن الكتاني، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لـ«المجتمع»: إن سقوط الخلافة يوم عيد بالنسبة لأعداء الأمة، وكان من نتائجها المريعة تقسيم دار الإسلام لدول وأفطار متناحرة، وفقاً لاتفاقية «سايكس وبيكو»، التي تركت لكل بلد قبلة موقوتة عما قريب ستفجر، واحتلال أغلب ديار وأقطار الإسلام، وما لم يُحتل كُبلٌ بمعاهدات تجعله يتبع مصالحهم.

ويضيف الكتاني أن أعداء الأمة نشروا القوميات الجاهلية التي فرقت الوحدة الإسلامية، وأرجعت المسلمين لشعوب متناحرة يكره بعضها بعضاً، فلا القومية العربية استطاعت أن توحد البلاد، ولا الكرد والترك

والبربر استطاعوا بناء دولة تجمعهم، فكانوا في ثورات مستمرة منعت المسلمين من النهوض. وولفت إلى أن سقوط الخلافة كان مصيبة أدت لانتهزام المسلمين انهزاماً نفسياً، تلاه انهيار تام أمام الحضارة الغربية الفاسدة، ولولا أن الله تعالى هيأ الحركات الإسلامية التي قاومت بشدة كل ذلك، لكان المسلمون والإسلام في وضع آخر.

من جانبه، يرى المفكر الإسلامي المصري مجدي أحمد حسين، في حديث لـ«المجتمع»، أن خسارة العالم والمسلمين واضحة من سقوط الخلافة، فلم يعد هناك قطب إسلامي يشارك في إدارة العالم، ولم يعد هناك حصن يحتتمي به المسلمون ويبنون حضارتهم بشكل مستقل، مستدرِكاً أننا يجب ألا نتباكى على سقوط الخلافة بعد مرور ١٠٠ عام على ذلك، فهذه سنة من سنن الله في خلقه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

ويشدد حسين على أهمية السعي للوحدة الإسلامية قائلاً: حري بنا أن نعيد بناء الدولة الإسلامية الموحدة، وقد بدأ المسلمون بالفعل فور سقوطها بتأسيس كل الحركات الإسلامية التي تموج بها بلدان العرب والمسلمين، في محاولة بناء دول إسلامية على مستوى الأقطار، وعلينا أن نسعى إلى الوحدة من جديد على أساس المفهوم الكونفدرالي للوحدة، عبر التركيز على الوحدة في مجالي السياسة الخارجية والدفاع، ووضع الأسس الدستورية

العامة للدولة الإسلامية الكونفدرالية. من ناحيته، يشعر المستشار التربوي والأكاديمي المتفرغ بالجامعة العالمية بماليزيا د. علاء حسني، في حديث لـ«المجتمع»، بمرارة كبيرة، في ذكرى سقوط الخلافة، موضحاً أنها كانت حصناً حصيناً للأمة وللاستقرار العالم، بهدمه خسر المسلمون على كل الصعد، وتوزعوا فرقاً سياسية؛ ما أذهب قوتهم، وأصابهم بالهوان على الناس والتخلف في كل الميادين، وهو ما أثر سلباً على كل العالم، حيث خسر تواجد هذا الكيان الأممي.

ويصف د. حسني الخلافة بأنها كانت «صمام أمن كوني» يرفع ويعزز سبل النهضة الحقيقية في مختلف مراحل استقرارها كإطار جامع للأمة، بداية من العصر الراشدي فالأموي فالعباسي فالعثماني، حيث أثمر انضواء شعوب شتى تحت لواء الخلافة تلاقحاً للأفكار وعناية بالعلم والتعليم وازدهاراً مختلف جوانب التقدم الحضاري والعلمي، وهو المنجز الكبير الذي بدده العالم بإسقاطه الخلافة.

ويشير إلى أن غياب الخلافة أدى إلى غياب التوازن الذي كان يحققه هيبتها، والخشية من قوة تأثير كلمة الخليفة وقدرته على حشد المسلمين تحت راية الجهاد في وجه من يستهدف الأمة؛ مما أدى إلى تدهور حقوق المسلمين، وبالذات الأقليات المسلمة، مؤكداً أن الانتصارات العسكرية الكبرى التي تحققت على أيدي الخلفاء كانت من أهم نتائج الاستقرار السياسي العالمي في ظل التدافع، الذي كان يعزز من توازن القوى والثروة. ■

قرن على سقوط الخلافة الإسلامية.. مسار حضارة قوّضتها القوى الاستعمارية!



**خروبوات: الخلافة
أسقطت ولم
تسقط.. والأمة لم
تجن سوى مزيد
من التفكك
والانهيار**



**بالحداد: المسلمون
فقدوا بسقوط
الخلافة الوحدة
السياسية
والاقتصادية
والعسكرية**



الرباط - عبدالغني بلوط:

وصف الأكاديمي المغربي نور الدين بالحداد سقوط الخلافة الإسلامية قبل مائة عام به الزلزال العنيف الذي ضرب الأمة الإسلامية وهز أركانها وهوى بها إلى أسفل سافلين، حيث فقد المسلمون بهذا السقوط القوة والنخوة والوحدة السياسية والاجتماعية والمكانة الاقتصادية والعسكرية التي دامت لعدة قرون، فيما خسر العالم مسار حضارة راقية كان خيرها في طريق تعميمه على الإنسانية جمعاء.

وأبرز أستاذ تاريخ المغرب المعاصر، في حديث له «المجتمع»، أن الخلافة الإسلامية التي قوضتها أطماع خارجية للحد من إشعاع التفوق الإسلامي على مدى قرون؛ علمياً وحضارياً وعسكرياً، صادف سقوطها ضعفاً داخلياً ممثلاً في جور بعض حكام البلاد الإسلامية وتنافسهم على السلطة.

ضعف بعد قوة

وذكر بالحداد كيف كانت هذه الأمة الإسلامية موطن إشعاع علم وحضارة، توسعت وازدهرت، وفرضت قوتها على العالم، حتى إن الغرب المسيحي كانت فرائسه ترتعب عند مرور باخرة الخلافة الإسلامية، لكن مع تكالب الدول الغربية وتوسع أطماعها رأينا أقطاراً إسلامية تسقط في حبالهم سريعاً بسبب ضعف بعد قوة، وظلم بعد عدل، وذلل بعد نخوة، وتشردم

بعد اتحاد، واهتمام بالمصالح الشخصية بدل العامة. وربط الباحث المغربي الماضي بالحاضر، مبرزاً كيف يتعد أعداء الأمة الإسلامية اليوم؛ من أجل إبقائها في حالة ضعف وهوان، وما الحرب الأخيرة التي تدور رحاها اليوم في غزة، إلا عنوان بارز لهذا التآمر، من أجل محو وطمس هوية الشعوب الإسلامية.

وأجل إبقائها في حالة ضعف وهوان، وما الحرب الأخيرة التي تدور رحاها اليوم في غزة، إلا عنوان بارز لهذا التآمر، من أجل محو وطمس هوية الشعوب الإسلامية.

وشدد بالحداد على أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة من جديد إلا إذا وُحّد الحكام كلمتهم وفتحوا الأبواب لشعوبهم من أجل التعبير عن طموحاتهم وإبداعاتهم في كل المجالات، والاهتمام بمجال التربية والتعليم، والأخذ بأسباب التقدم الصناعي والتكنولوجي والقيمي، مع التركيز على تاريخ هذه الأمة الإسلامية ونشأتها الأولى وازدهارها.

أسقطت ولم تسقط!

بدوره، أكد الأكاديمي المغربي محمد خروبوات أن الأمة الإسلامية تستحضر اليوم مرور مائة عام على إسقاط الخلافة الإسلامية، موضحاً أن الخلافة أسقطت ولم تسقط، وهذا الإسقاط هو «نكبة الأمة» في العصر الحديث، بحيث لم تجن من هذا السقوط سوى مزيد من التفكك والانهيار، ولا يخلو قطر من أقطار الإسلام من فتنة الطائفية والفتوية

وحركات الانفصال، وقد شجع أعداء الأمة الإسلامية على تذكية نغرات المذاهب والطوائف والمعتقدات واللهجات وما إلى ذلك.

وأبرز الباحث في الحضارة الإسلامية، في تصريح له «المجتمع»، أن الخلافة الإسلامية التي سقطت عام ١٩٢٤م ليست خياراً أو نظاماً سياسياً يمكن المساومة عليه، وإنما هي مطلب شرعي؛ لأن الله تعالى أراد من هذه الأمة أن تكون أمة واحدة، تحت راية واحدة، لا تستقيم وحدتها ولا عبادتها ولا عزتها بين الأمم إلا في ظل الوحدة، وهناك معادلة جديرة بالتصوير؛ وهي أنه كلما زادت الأمة تفككاً؛ زاد أعداؤها توحداً ووحدة، فكأن انهيار وحدة الأمة سبب وحدة أعدائها، وكأن وحدة أولئك سبب انهيار وحدة الأمة.

وأضاف خروبوات أن الأمة الإسلامية اليوم تتغذى من ثقافة التفكك والتشردم، وهذه الثقافة تفعل فعلها في المسلمين اليوم، وهم اليوم يحملون معول الهدم بأيديهم ليساهموا في تدمير وحدتهم، واقتلاع جذور مقوماتهم ومناهضة أسباب قيامهم! ■

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (1)

القوى الأوروبية وتفتتت الوحدة الإسلامية.. قراءة تاريخية



د. إبراهيم نوبري

كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

منذ سقوط التجربة الأخيرة للخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك، في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ/ ٣ مارس ١٩٢٤م، والفكر الإسلامي يبحث تداعيات هذه القضية الحساسة؛ نظراً لعلاقة الإسلام كدين بالدولة، وحاجة الأحكام الشرعية إلى السلطة، إذ إن الخلافة تعني أساساً رئاسة عموم المسلمين في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، ونشر الدعوة الإسلامية في ربوع العالم وأفاقه المختلفة وتبليغ حقائق وتعاليم الرسالة الخاتمة إلى الناس كافة.

المجال أمام خصوم الأمة الإسلامية، فراحوا يحتلون أراضيها قُطراً وقُطراً وإقليماً بعد آخر، ثم زرعوا في قلب كيانها جسماً سرطانياً غريباً («إسرائيل»)، ليستنزفها في حال أجبرت قوى الأمة الحية المكافحة الاحتلال على الرحيل، وهو ما حدث بالفعل، وعلى النحو الذي توقعوه في مخططاتهم.

تفتتت الوحدة الإسلامية

لقد كان من أهم أهداف الصليبية الحاقدة والصهيونية الماكرة -كما صرّح بذلك أحد أشهر جواسيس الإنجليز المشهور في الكتابات العربية التاريخية باسم «لورنس العرب»^(١) عام ١٩١٦م- تفتتت الوحدة الإسلامية، خاصة في بُعدها السياسي، ودحر الخلافة العثمانية وتدميرها، وفصل العرب عن دائرة هذه الخلافة بصفة نهائية، حتى يعيشوا في دوامة من الفوضى السياسية، داخل دويلات صغيرة غير قابلة للتماسك ولا حتى التعاون فيما بينها.

أدركت القوى الغربية (أوروبا) منذ حصار فيينا على يد الخليفة العثماني سليمان القانوني -وفيينا هي قلب أوروبا- عام ٩٢٥ هـ/ ١٥٢٩م، أن قوة المسلمين الحقيقية تتمثل في وحدتهم كأمة وحضارة لها بصمتها الخاصة، وأن الخلافة التي تظلمهم، تمثل السياج السياسي الذي يحافظ على استمرار وتأثير تلك القوة؛ لذلك بذلت كل ما بوسعها من أعمال ومخططات وتحالفات سواء أكانت سرية أو علنية، من أجل حل هذا الرباط، وتفتتت هذه الوحدة؛ لكي يسهل بعد ذلك تقسيم الكيان الذي ظلت الخلافة العثمانية مدة خمسة قرون وربع القرن، تمثل بالنسبة له المظلة الواقية من الأعاصير والزوابع الهابّة من عدة جهات واتجاهات.

وبعد جهود مضنية بُذلت على مراحل مختلفة، أمكن لتلك القوى تحقيق الهدف الذي سعت إليه، فسقطت الخلافة العثمانية، بعد إضعافها وإثخانها بالجراح، فانفسح



توماس إدوارد لورنس
(لورنس العرب)

أوروبا أدركت أن قوة المسلمين في وحدتهم والخلافة التي تظهرهم فعملت على تفتيت هذه الوحدة وحل هذا الرباط

.. ولتحقيق هذا الهدف قامت بتجزئة الإمبراطورية العثمانية إلى دول ومقاطعات وعزل البلاد الإسلامية

٢- أن تتعهد تركيا بقطع أي صلة رسمية لها بالإسلام والعالم الإسلامي.
٣- أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية ذات التأثير والفعالية المتبقية.

٤- أن تسارع إلى إلغاء الدستور العثماني المؤسس على الإسلام ومقاصد شريعته، والإعلان عن الدستور التركي المدني الوضعي العلماني.

فما كان من ألتاتورك، أمام هذا الموقف، سوى الرضوخ والانصياع إلى شروط القوى الاستعمارية الغربية، فقبل بها، ولما كان متحمساً بطبعه لهذا التوجه، فقد نفذها، وغالى في الوفاء بها، بل الإضافة إليها^(٢).

وعندما نعود إلى تفصي الصورة التاريخية لتلك الفترة، نجد أن القوى الغربية في جملتها، كانت جادة وعازمة - قبل الهيمنة الكاملة على البلاد الإسلامية - على تمزيق جامعة المسلمين السياسية المتمثلة في الخلافة العثمانية، كما يمزق الجزائر ذبيحته إرباً إرباً، ولقد أدركت تلك القوى بأن تحقيق هذا الهدف يمرّ حتماً عبر تجزئة الإمبراطورية العثمانية إلى دول ومقاطعات عديدة، حيث تمّ عزل إيران وأفغانستان، كما تمّ عزل البلاد الإسلامية الأخرى مثل أوزباكستان وطاجيكستان وأذربيجان وتركستان وكازاخستان، وتسليمها للقوى الشيوعية، غير أن النصيب الأوفر من هذه التجزئة كان من نصيب البلاد العربية، حيث

فقد دفع الإنجليز بالشريف حسين، شريف مكة، كما كان يُسمى حينئذ، إلى التحالف معهم ضد إخوانه المسلمين الأتراك، مقابل وعد بوطن عربي موحد تحت إمرته وسلطانه؛ غير أن ما حدث هو تقسيم البلدان العربية المقسمة أصلاً إلى دويلات أصغر، وذلك تنفيذاً لمعاهدة «سايكس بيكو» المعقودة بين كل من فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٦م.

وبدل الوعد بالوطن العربي الموحد، تم الإعلان والإقرار بوعد آخر، مضاد للعرب؛ هو «وعد بلفور» عام ١٩١٧م، القاضي بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين العربية المسلمة، بعد المحاولات الكثيرة المتكررة التي قادها تيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية السياسية المعاصرة، في محاولة للحصول على جزء من فلسطين من الخليفة المسلم السلطان عبد الحميد الثاني، مقابل دفع ديون الدولة العثمانية، والمساهمة في إنقاذ اقتصادها المتدهور.

وقد واجه السلطان عبد الحميد ذلك الإغراء بموقف تاريخي عظيم، قدّم فيه مصلحة أمته المسلمة على المصلحة القومية الضيقة، حيث رد في حزم قائلاً: «إن وضع المشروط في جسدي وتقطيعه إرباً إرباً أهون عليّ من أن أعطيكم أرضاً فتحتها أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحررها القائد صلاح الدين الأيوبي»^(٣).

بطبيعة الحال، كان تركيز عمل القوى الغربية منصباً خلال تلك المرحلة على تدمير مركز الخلافة؛ كي يسهل بعد ذلك الفتك بأعضاء الجسم، التي كان المركز يمدّها بالقوة والحماية العسكرية والمعنوية وغيرها.

شروط الهدم

وقد ذكر الشيخ محمد محمود الصواف أن الاستعمار الغربي اشترط على مصطفى كمال ألتاتورك، مقابل تمكينه من اعتلاء السلطة في تركيا، على أنقاض حكم الخلافة الإسلامية عدة شروط، أهمها:

١- الإعلان عن إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً من تركيا.

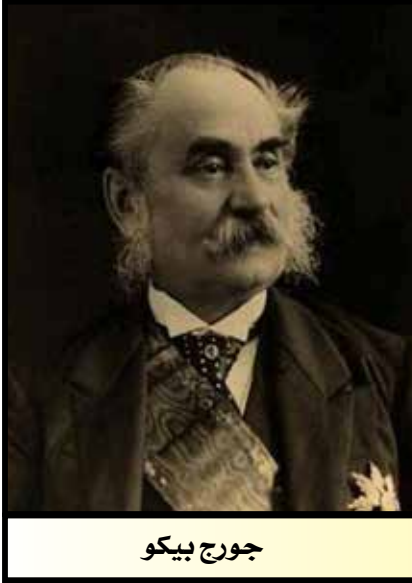
تمّ بعثرتها إلى ما يزيد على ٢٠ دولة.

وقد يتصور البعض أن ذلك كان بسبب الصراع الفرنسي - البريطاني على مناطق الاحتلال والحماية، لكن لو كان الأمر كذلك لكان نصيب التجزئة العربية الانشطار إلى جزئين كبيرين أو ثلاثة أو أربعة، لكن الذي حدث بالفعل أن المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جُزئت ومُزقت شر ممزق؛ فلبنان -مثلاً- تم فصله عن سورية، وكلاهما واقع تحت هيمنة الاستعمار أو الانتداب الفرنسي -كما كان يُسمى- وهو الأمر ذاته الذي فعله الاحتلال الفرنسي في منطقة المغرب العربي.

ولم تسلم الأقطار الواقعة تحت نفوذ الاستعمار البريطاني من مصير التجزئة، حيث فصل الأردن عن فلسطين، والسودان عن مصر، وأصبح الخليج العربي بدوره عدة محميات ومناطق نفوذ^(٤).

الجامعة الإسلامية

لكن، هل استكانت الأمة الإسلامية لما آلت إليه أوضاعها؟ الحق أن قوى الأمة المختلفة ظلت تستبطن في أعماقها موضوع الجامعة الإسلامية، أو وحدة الأمة السياسية، وكان التعبير عن هذه الروح ظاهراً في الخطاب السياسي والفكري وفي نتاج المثقفين والأدباء



جورج بيكو



مارك ساكس



كمال أتاتورك

تستعيد بها الأمة الإسلامية جامعيتها أو وحدتها السياسية والإدارية والحضارية، وهذا ما نطرحه في مقال قادم بإذن الله. ■

الهوامش

(١) توماس إدوارد لورنس (١٨٨٨ - ١٩٣٥م)، ضابط مخابرات بريطاني، مكث في البلاد العربية لسنوات طويلة، واشتهر بدوره في تأييد الثورة العربية وإشرافه على حركة الانفصال عن الخلافة العثمانية، حتى لقب بـ«لورنس العرب»، من أشهر مؤلفاته: «القلع الصليبية»، «أعمدة الحكمة السبعة».

(٢) خالد سليمان الفهداوي، منهج التعايش بين المسلمين، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٠.

(٣) أحمد بن سعد الغامدي، الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها، مؤسسة الجريسي للطبع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ص ٢٤.

(٤) منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، دار طه للنشر، ط١، لندن، ١٩٨٣م، ص ٥٩.

إسقاط الخلافة الإسلامية. أما في زمننا هذا، فإن تلك القوى المعادية لأمتنا تدرك بأن تقسيم هذه الأمة إلى قوميات وطوائف وقبائل ومذاهب، بعد تقسيمها إلى أقطار، يصبّ في مصلحة الصهيونية العالمية، ذلك أن دولة الكيان الصهيوني تريد أن تتعامل مع مجموعة دويلات صغيرة ضعيفة متصارعة، أفضل لها من أن تواجه دولة موحدة منسجمة في توجهاتها، لها عمق حضاري وسياسي واقتصادي؛ ومن أجل ذلك فإنهم يدعمون الأقليات، قصد إدارة الصراع الطائفي والديني والقومي، وجعل النتائج تتصل بأهدافهم الإستراتيجية.

إن تلك الدوائر المعادية لأمتنا أقضّ مضجعها قروناً عديدة ذلك التماسك المتين والترابط الصلب بين المسلمين على اختلاف أعراقهم وأقطارهم ولغاتهم، فقدروا بأن أفضل وسيلة للتغلب على هذه الأمة، تتمثل في تجزئتها وإنهاء وجودها الدولي.

وبعد أن تحقق لأعداء الأمة الإسلامية ما أرادوا تحقيقه، أخذ مفكرو وعلماء وخبراء هذه الأمة يفكرون في المصير السياسي للعالم الإسلامي، فقدّموا عديد الصيغ التي من شأنها أن تتحول في يوم من الأيام، أو خلال مرحلة من المراحل، إلى إرادة سياسية،

والإعلاميين.. إلخ.

كما أن هذا النزوع أصبح شعوراً عاطفياً لدى شرائح اجتماعية واسعة في الأمة الإسلامية، وكان هذا الشعور يتغذى على مرّ الأيام على ما يظهر من عداة الغرب للإسلام، والسخرية بنبي الإسلام وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وإضعاف أخلاق الشباب والنشء وتشكيكهم في هويتهم وانتمائهم ومعتقداتهم. كما يتغذى من روح الصلف والاستكبار الغربي، الذي ينظر إلى الوحدة الإسلامية، خاصة في بعدها وإطارها السياسي، كأحد أبرز المحظورات؛ كما تدلّ أعماله ومخططاته التي تستهدف تجزئة العالم الإسلامي، وخلق كيانات سياسية جديدة في أقطاره ودوله المختلفة.

علماً أن هذه الآلية -سياسة التفريق والتجزئة- قد انتهجتها تلك القوى الاستعمارية، منذ زمن بعيد، وقد آلت إلى

قوى الأمة ظلت تروم للجامعة الإسلامية والوحدة السياسية وكان ذلك ظاهراً في الخطاب السياسي والفكري

الخلافة الإسلامية وأوروبا.. حذر من الدور التركي في تجديد نهضة الأمة



تمرّ مائة عام على سقوط، أو بالأحرى إسقاط نظام الخلافة الذي تتحمل فيه القوى الأوروبية قسطاً كبيراً من المسؤولية؛ ذلك أن العلاقات العثمانية - الأوروبية اتسمت بالحدّز الأوروبي الشديد والمتواصل من الأتراك المسلمين الذين كانوا غالباً سداً منيعاً للأمة الإسلامية، وعاملاً مهماً في تجديد نهضتها؛ الأمر الذي يفسّر مراوحة التعامل الأوروبي بين هيبة الدولة العثمانية في عصور قوتها وأوجها، والسعي الحثيث عند ضعفها إلى تفكيك أواصرها والتآمر على إسقاطها وإنهاء نظام الخلافة الذي مارسه لمدة أربعة قرون (١٥١٧ - ١٩٢٤م).



د. محمد الغمقي
كاتب ومحلل سياسي

الأتراك السلاجقة يتصدون لبيزنطة،

لم تكن أوروبا تتصور أن الخلافة الإسلامية ستعود من جديد بعد سقوط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م على يد التتار، بعد أن أوهنتها سلسلة من الحروب الصليبية الأوروبية المدمّرة على الشرق الإسلامي بداية من عام ١٠٩٦م، بالرغم من تحرير بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م في معركة «حطين» الحاسمة.

وشاءت الأقدار أن تتواجد قوتان زمن سقوط الخلافة العباسية، وهما المماليك في مصر، والسلاجقة في الأناضول، ساعدتا على إحداث نهضة جديدة للأمة.

وعلى ذكر السلاجقة (نسبة إلى سلجوق بن زقاق)، فإنهم سلالة تركية تنحدر من قبيلة «قنق» التي تنتمي بدورها إلى مجموعة أتراك الغز، جاؤوا من آسيا وعبروا إيران وأقاموا فيها دولة السلاجقة الكبرى، ثم تقدموا نحو الإمبراطورية البيزنطية المسيحية (الروم) وهم يتسابقون على كسب شرف تحقيق بشري النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفتح القسطنطينية عاصمة الروم؛ «لتفتحن قسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجند ذلك الجند»، وتمكنوا من إقامة دولة سلاجقة الروم في منطقة الأناضول.

وفي عهدهم حصلت معركة «ملاذكرد» الشهيرة بين القائد ألب أرسلان والروم، إلا أن السلاجقة وجدوا صعوبة في التقدم نحو القسطنطينية، فجاءهم المدد من قبائل الغز التركية بقيادة أرطغرل الذي أبلى البلاء الحسن

في الحركة الجهادية، فكافأه السلطان السلجوقي علاء الدين بأرض على حدود بلاد الروم أقام عليها إمارة ذات ولاء للسلطان.

سلالة أرطغرل تفتح القسطنطينية

والبلقان؛

وبعد وفاة أرطغرل، قام ابنه عثمان بالاستقلال عن السلاجقة وتأسيس الدولة العثمانية باسمه عام ١٢٩٩م، وهذه بداية العهد العثماني الذي سيتواصل حتى القرن العشرين في شكل دولة في مرحلة أولى، ثم تحولت بداية من عام ١٥١٧م إلى خلافة إسلامية عاصمتها إسطنبول التي كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية الرومانية المسيحية.

ويُعدّ سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م منعرجاً في تاريخ العلاقة بين أوروبا والعالم الإسلامي، ويمثل نهاية الوجود السياسي المسيحي في منطقة الشرق الأوسط وانحساره في أوروبا، وتؤكد هاجس الأوروبيين بوجود خطر يمثله العنصر التركي المسلم، حيث تمكن العثمانيون منذ عهد

مع بداية القرن العشرين ازداد الضغط على الدولة العثمانية ووصفت بـ«الرجل المريض» والتآمر لإسقاطها

الحرب العالمية الأولى انتهت بهزيمة ألمانيا وحلفائها وجاء القرار بمؤتمر «لوزان» بإلغاء نظام الخلافة

العثماني وبأشكال مختلفة بدأت بتسريب النعمة القومية بين العرب والأتراك والأكراد والبربر.. داخل المجتمع المسلم في إطار سياسية «فرق تسد»، وتمزيق وحدة الصف، وتسريب الفكر العلماني (فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع)، وأصبحت فرنسا راعية للمسيحيين في الشرق (خاصة في لبنان وسورية).

التدخل العسكري وسياسة «فرق تسد»

ثم جاءت مرحلة التدخل العسكري والاستعمار التي مهدت لها حملة عسكرية نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م على مصر الولاية العثمانية، بل تقدم نابليون إلى فلسطين وتحديدًا إلى أريحا وحاول استمالة اليهود بأول وعد لهم بوطن في فلسطين، لكن لم تتجح المبادرة، حتى جاءت مبادرة أخرى تعرف بـ«وعد بلفور» عام ١٩١٧م.

ومع بداية القرن العشرين، ازداد الضغط على الدولة العثمانية من خلال الحرب النفسية، ونعت هذه الدولة بـ«الرجل المريض»، ومحاولات التآمر لإسقاطها، خاصة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد الثاني إعطاء وطن لليهود في فلسطين تحت ضغط الحركة الصهيونية المتنامية بدعم أوروبي.

وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن السلطة عام ١٩٠٩م، تحت مبرر المطالبة بإجراء إصلاحات داخل الدولة، وضغط حركات معارضة ذات توجه علماني مثل حركة «تركيا الفتاة» و«جمعية الاتحاد والترقي».

إلغاء الخلافة ومحاربة مظاهر الإسلام،

وجاءت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) لتكون فرصة لتفكيك أواصر الدولة العثمانية عن طريق اتفاقيات ووعد ومؤتمرات تصب في القضاء على خصم تاريخي، وأخطرها

عظم خلالها شأن العثمانيين، وأصبحوا قوة مهابة في العالم، خاصة دول أوروبا التي جمعت في سياستها مع سليمان «العظيم» كما تصفه، بين محاربه وتحريك الحروب الصليبية من جديد أمام تقدم فتوحاته في أوروبا (رودس، المجر، حدود فيينا)، ومهادنته، بل التحالف معه، كما حصل مع ملك فرنسا فرانسوا الأول منذ عام ١٥٣٦م، إلى حد غضب الكنيسة على الملك.

لكن برزت مؤشرات الضعف على الإمبراطورية العثمانية بعد أن كانت في أوج قوتها نهاية القرن السادس عشر، وتزامن ذلك مع ظهور قوى أوروبية جديدة مثل فرنسا وبريطانيا ذات طابع توسعي استعماري، استغلت علاقاتها وتحالفاتها مع إسطنبول للحصول على امتيازات قدمها بعض السلاطين أمام عجزهم عن تسديد الديون، ومن خلالها التدخل تدريجياً في الشأن

أورخان بن عثمان من إنجاز فتوحات كبرى في أوروبا ومنطقة البلقان، وذلك منذ منتصف القرن الخامس عشر، وتجذير الوجود الإسلامي الأوروبي في قلب القارة الأوروبية والتصدي للهيمنة الصربية على شعوب البلقان (البوسنة والهرسك والجبل الأسود..).

وجاء الرد المسيحي بإكمال عملية القضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس بإسقاط غرناطة آخر إمارة أندلسية عام ١٤٩٢م.

أوج الخلافة العثمانية في عهد السلطان سليمان

وبقيام الخلافة الإسلامية عام ١٥١٧م على يد السلطان سليم الأول حفيد محمد الفاتح، قويت شوكة دولة الخلافة العثمانية، ثم خلفه ابنه سليمان القانوني الذي بقي أطول فترة في الحكم حوالي نصف قرن (١٥٢٠ - ١٥٦٦م).

نموذج «الاتحاد الأوروبي».. والخلافة

وتم فتح الحدود الأوروبية الداخلية بعد اتفاقية «شغن» عام ١٩٨٥م التي أقرت حرية انتقال الأشخاص والبضائع، بحيث يمكن للفرد أن يتنقل بين عدة عواصم أوروبية في اليوم نفسه دون المرور بجمارك أو شرطة حدود، إلى جانب وضع مؤسسات ذات بُعد إقليمي أوروبي، دون المساس بسيادة الدول الأعضاء في الاتحاد، ويمكنها اتخاذ قرارات لصالح الأفراد والمجموعات، بحيث يمكن للمواطن الأوروبي أن يتحاكم إلى المحكمة الأوروبية إذا لم يجد حقه في محكمة بلده. وأهم إنجاز للاتحاد الأوروبي إرساء عقلية التجاوز عن الخلافات ورواسب الماضي؛ بما فتح الطريق لدولة مثل ألمانيا لتكون قطباً اقتصادياً أوروبياً وازناً.

ولو تأملنا في فلسفة الاتحاد الأوروبي، لوجدناها أقرب ما يكون إلى نظام الخلافة الإسلامية الذي قام على أساس توحيد الصف الإسلامي وإرساء وحدة إسلامية في إطار التنوع، مع فارق مهم في المرجعية؛ وهو أن الخلافة الإسلامية تركز نظرياً في سياستها وقوانينها إلى الشريعة الإسلامية، في حين أن فكرة الاتحاد الأوروبي تقوم على أساس قوانين وضعية علمانية. ■

بقدر حرص القوى الأوروبية على إسقاط الإمبراطورية العثمانية وإلغاء نظام الخلافة الإسلامية في بداية القرن العشرين، كان حرصها (أوروبا) على وحدتها بعد الدمار الذي تسببت فيه الحرب العالمية الثانية. ويعتبر «روبار شومان»، وزير خارجية فرنسا في الخمسينيات من القرن العشرين، الأب المؤسس للاتحاد الأوروبي، ومن أقواله: «لن يتم بناء أوروبا دفعة واحدة، ولا في إطار بناء كامل شامل، بل سيتم بناؤها من خلال إنجازات ملموسة تحدث التضامن الفعلي بالدرجة الأولى»، ويقول أيضاً: «إن أوروبا، قبل أن تكون تحالفاً عسكرياً أو كياناً اقتصادياً، يجب أن تكون مجتمعاً ثقافياً بالمعنى الأسمى لهذا المصطلح».

وبناء عليه؛ فإن من مميزات الاتحاد الأوروبي السعي إلى تحقيق المصلحة العامة للكتلة الأوروبية، لتكون كتلة وازنة في القرار الدولي، شعاره «الوحدة في إطار التنوع».

ولا يكون ذلك إلا عن طريق توحيد الرؤى والمواقف في القضايا المصرية، والتعاون في القواسم المشتركة رغم الاختلافات في اللغة والأنظمة السياسية والثقافات، وتوحيد الصف الداخلي لرفع التحديات.



أردوغان بنى سياسته على إحياء التراث الحضاري للدولة العثمانية والدفاع عن الهوية الإسلامية

أوروبا لم تدرك أن عصر الهيمنة ولّى والعالم يتهيأ لدورة حضارية جديدة يعود فيها المجد للإسلام

اتفاقية «سايكس بيكو» عام ١٩١٦م، وهي اتفاقية سرية تقوم على تقاسم فرنسا وبريطانيا على اقتسام الهلال الخصيب (العراق، سورية)، ثم وعد رسمي بريطاني يسمى «وعد بلفور» عام ١٩١٧م بوطن لليهود في فلسطين (الذي تحقق عام ١٩٤٨م بعد أن هبّ الانتداب البريطاني الظروف المناسبة وتم التهجير القسري للفلسطينيين).

وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا ومعاقبة حلفائها، ومن بينهم الدولة العثمانية، وجاء القرار في مؤتمر «لوزان» بإسقاطها وإلغاء نظام الخلافة.

جاء في «الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي» (ص ٢٢٢) للدكتور راغب السرجاني، أنه مؤتمر «لوزان» عقد عام ١٣٣١هـ، وحضره ممثلون من حكومة أنقرة، وضع الإنجليز فيه شروطاً للاعتراف باستقلال تركيا، عرفت بشروط «كرزون الأربعة»، وهي:

- ١- إلغاء الخلافة العثمانية.
- ٢- قطع كل صلة بالإسلام.
- ٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس عن الإسلام.

وحاول البعض الالتفاف حول الخليفة، ولكن كمال أتاتورك كان قد قويت شوكته واستطاع أن يزيح كل من وقف في طريقه وأعلن إلغاء الخلافة عام ١٣٤١هـ وأعلن قيام جمهورية تركيا، وألغى الوظائف الدينية، وسلط جنده على السكان يجردون النساء من حجابهن، وجعل من نصوص الدستور أن يكون له تمثال في جميع أنحاء تركيا، ومنع الأذان باللغة العربية، وجعل كتابة

اللغة التركية بحروف لاتينية بعدما كانت كتابتها بحروف عربية.

الصحة الدينية في تركيا:

لكن عادت الصحة الدينية بظهور حركات إصلاحية ذات توجه إسلامي، مثل الحركة النورسية؛ نسبة إلى سعيد النورسي (١٨٧٨-١٩٦٠م)، ثم ظهرت الحركة الإسلامية المعاصرة بقيادة نجم الدين أريكان، رئيس حزب الرفاه، رئيس وزراء تركيا في أواخر التسعينيات، ثم تلميذه الرئيس الحالي رجب طيب أردوغان، وحزبه العدالة والتنمية.

وقد بنى الرئيس أردوغان سياسته على إحياء التراث والعطاء الحضاري للدولة العثمانية، والدفاع عن الهوية الإسلامية، وإعادة الهيبة للدولة التركية ومجدها، عن طريق بنية اقتصادية وعسكرية متينة، وتحولت تركيا أردوغان إلى قوة إقليمية لها امتداد آسيوي وأفريقي، علاوة على عضويتها في حلف شمال الأطلسي (ناتو)؛ الأمر الذي يفسر التخوف الكبير لدى الأطراف الأوروبية من هذه القوة الإقليمية الصاعدة، ونعت أردوغان بـ«السلطان» في إشارة إلى عهد الخلافة العثمانية!

تركيا قوة إقليمية وازنة:

ولعل الرفض الأوروبي لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي مؤشر كبير على هذا التخوف؛ إذ إن تركيا اليوم تجمع بين القوة الاقتصادية

والعسكرية والسكانية (٨٥ مليون نسمة)، والهوية الإسلامية المتنامية بعد أن كانت عنواناً ورمزاً لدولة مسلمة علمانية بامتياز في عهد أتاتورك.

وكان الرد التركي على هذا الرفض بنعت الاتحاد الأوروبي بـ«النادي المسيحي المغلق»، وقيام أنقرة بربط تحالفات وتكتلات مع دول في آسيا الوسطى ذات غالبية عرقية تركية، مثل تركمانستان وأذربيجان، علاوة على إمساك العصا من الوسط في ظل التوازنات الدولية المتحركة عن طريق علاقات دبلوماسية مع روسيا والصين ودول الخليج العربي، والسعي إلى إرساء تعامل ندي في العلاقات الدولية، مع الاستفادة من تجربة الاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بمميزات نظام الاتحاد في توحيد الصف الإسلامي، من حيث التكتل مع الحفاظ على التنوع.

وتثبتت المستجدات (مثل الحرب في أوكرانيا، وفي فلسطين المحتلة) أن الطرف التركي لا يمكن تجاهله أو تجاوزه، بل إن من مصلحة أوروبا التي تشعر بالتهديد على حدودها الشرقية أن تحافظ على نوع من العلاقة مع القيادة التركية الحالية، وهي تعول في الوقت نفسه على مرحلة ما بعد أردوغان، وانتظار احتمال وصول قيادة جديدة ذات نزعة علمانية، ولكن ما لم تدركه أوروبا بعد أن عصر الهيمنة قد ولّى، وأن العالم يتهيأ لدورة حضارية جديدة يعود فيها المجد للإسلام. ■

الخلافة مَعْلَمُ الإسلام المجنّي عليه!



د. جمال عبدالستار

الأمين العام لرابطة علماء أهل السنة

الخلافة ذلك المَعْلَمُ الإسلامي الخالص الذي لم يسبق لأمة في التاريخ ادعاؤه؛ فلم يكن تقليداً خاصاً بحضارة من حضارات الغرب أو الشرق، ولكن كان هدياً قرآنياً وتوجيهياً نبوياً، وسلوكاً إسلامياً، عاشت به الأمة قروناً عديدة؛ فحازت به الريادة، ونالت به أرفع مقامات التمكين، وتربعت به على عروش الريادة والتأثير.

الخلافة تلك المِظْلَةُ الجامعة التي كانت من أسباب محافظة الأمة على وحدتها، وحماية مقدراتها، وحراسة مقدساتها، والتفافها حول هويتها، ورعاية رابطتها.

الخلافة تلك السُّنَّةُ الإسلامية التي عاشت الأمة بها مصونةً الجنب، قويةً الأركان، تهيمن الشريعة الإسلامية على مجريات حياتها، فتحكمها بتوجيهات القرآن الكريم، وتحت لوائه ورايته.

الخلافة تلك الشعيرة الإسلامية التي نالها من التشويه ما لم يُبْتَلْ به شعيرة أخرى، التي ضاعت معالمها بين سوء التطبيق، وسطوة الاستبداد حيناً، وسوء الفهم، وتآمر الحاقدين على مدار العصور والأزمنة أحياناً، وضعف أبناء الإسلام المخلصين عن الدفاع عنها، وتطوير أدواتها

لتواكب مختلف العصور والأزمنة.

الخلافة تلك الشعيرة التي استطاعت قوى الكفر والطغيان الدولي تشويه صورتها، وتحريف مفهومها، وصناعة النماذج المنسوبة إلى شريعة الإسلام زوراً وبهتاناً، لتقدم أسوأ النماذج باسمها، وأفسد القيم والمبادئ تحت رايتها المكذوبة.

واستطاعوا -للأسف الشديد- أن يضعوا بين المسلمين وفكرة الخلافة حاجزاً سميكا، بسبب تلك النماذج المُشوَّهة، المصنوعة في دياجير المخابرات العالمية، حتى أضحي الكُتَّاب والعلماء والرواد يفكرون آلاف المرات قبل أن يكتبوا سطرًا عنها، أو يعطوا محاضرة عن مكانتها، أو خطبة عن أهميتها، أو مقالاً يذكر بعض مناقبها.

لقد ظَلِمَ مفهوم الخلافة من أهله حينما قُرِطُوا فيه، وحينما سمحوا بارتداء عباءته لكل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ، وحينما تقاعسوا عن السعي لإقامته، وبذل الجهود لإعادته، وصناعة التصورات المناسبة للتحقق به على

الوجه الأمثل في واقعنا المعاصر، بما يتناسب وروح العصر، وثوابت السياسة الشرعية. ظَلِمَتِ الأمة بحرمانها من المِظْلَةِ السياسية لوحدها، ومن التحاكم بها وفق شريعة ربها، حُرِمَت من وحدة تجمع شتاتها، وتحمي مقدساتها، وتحفظ ثوابتها.

ونحن اليوم بعد مرور مائة عام على إسقاط الخلافة ننظر بحسرة وأسف على ما آلت إليه حال الأمة بعد ذلك الحدث المشؤوم، فتفرقت أيما تفرق، وتنازعت وتقاطعت وتدابرت، وتسلب بعضها على بعض، وهانت في عيون أعدائها؛ فأضحت بلاد المسلمين وثرواتهم كلاً مباحاً لكل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ.

تَأخُّرُ وانحدار

فمنذ إسقاط الخلافة حتى يومنا هذا لا نرى المسلمين إلا في تأخُّرٍ وانحدارٍ وهبوطٍ في جميع مناحي الحياة، حتى إنهم أصبحوا في ذيل الأمم، تلعب بهم الدول الكافرة كما يلعب الصبي بالكرة، بل إن الأمر أشد من ذلك؛ فقد تفرق جمعهم، وتشتت شملهم،

الخلافة هي المِظْلَةُ الجامعة التي كانت من أسباب محافظة الأمة على وحدتها وحماية مقدراتها منذ إسقاط الخلافة حتى يومنا لا نرى المسلمين إلا في تأخُّرٍ وانحدارٍ في جميع مناحي الحياة

الأمة بحاجة إلى نظام الحكم الإسلامي المتمثل في «الوحدة الإسلامية» للنجاة من هذه المهالك لنُعِدَّ للخلافة الإسلامية في عقول أجيالنا مكانها وفي علماء أمتنا ودعاتها عميمَ فضلها

وتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها.

فها هي القدس الشريفة استلبها منهم اليهود، وقامت الدولة «الإسرائيلية» في قلب الأمة الإسلامية، وعلى أنقاض دولة فلسطين المسلمة، وأصبحت لها الكلمة العليا والمكانة المرموقة في المنطقة الإسلامية.

وأضحى النظام الدولي الصليبي هو المهيمن على البلاد والعباد يتحكم في اقتصادنا وسياستنا وثقافتنا وأفكارنا، فُضِرَ الحصار على غزة، وكانت الدول المجاورة أول المنفذين له، كما دمرت معالم الدول، وشوهت هوية أهلها، ونهبت ثرواتها في العراق ومصر والشام والسودان واليمن.. إلخ، والعالم الإسلامي في سبات عميق، وكل يوم تسمع من المسلمين من ينادي: واغوثاه! فلا ترى له مجيباً، ولا لعرضه حامياً، وعجزنا حتى عن الكلام الجاد، ولا نملك إلا أن ينتظر كل منا دوره، وما سيفعله بنا الأعداء.

أما الأعداء فقد وُحِدُوا صفوفهم، وأعدوا قوتهم، وتعاونوا على إزلائنا، وتحطيم كبريائنا، واستغلال خيراتنا، ومحاصرة نظام ديننا، وتجميع رابطة الإسلام التي تربطنا، وإحياء العصبية والقوميات للقضاء على كل أمل في وحدتنا.

وإن المنكر قد شاع وملأ البقاع، وصارت له الكلمة العليا في كل نظم الحياة الإسلامية، وصار صوت الحق خافتاً، ونور الإيمان في القلوب باهتاً، وصار الإسلام نظام الحياة الإلهي الكامل مُطَارَداً من أنظمة الحكم الجاهلي التي تحمل كذباً اسم الإسلام، الإسلام الذي أصبح لا يحكم بلاد المسلمين! فما الحل إذن؟ وقد جربت الأمة أنظمة مختلفة، منها الاشتراكي والرأسمالي والديمقراطي وغيرها، وجربت التحالف مع الأقوياء؛ فتحالفت مع روسيا فلم تفلح،

وتحالفت مع أمريكا فلم تنج، وتحالفت مع بريطانيا فلم تنجح، وتحالفت مع بعضها بعضاً على غير الإسلام فلم تحصد إلا الفرقة والخلاف.

ومن هنا، فإنه يبدو لكل ذي عينين أن الأمة لا نجاة لها إلا بالإسلام؛ عقيدة، وشرعية، ومنهجاً.

إسلام يتمثل في العودة إلى كتاب الله ليحكم البلاد والعباد، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسير على نهجها، ونقتدي أثر صاحبها صلى الله عليه وسلم، الإسلام الذي لا يجعل الحاكم متحكماً في أرزاق الناس يحكم بالهوى، ويأخذ بالظن، ويعاقب بالشبهة.

نظام الحكم الإسلامي

إن الأمة في حاجة ماسة إلى نظام الحكم الإسلامي المتمثل في «الوحدة الإسلامية» لكي تنجو من هذه المهالك التي تحيط بها من كل مكان؛ لذا، كان من الواجب علينا إعمال سنة التدافع، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

فعلينا أن نكتب عن الخلافة؛ لنذكر الأجيال بمفهومها وفضلها ومكانتها، وحاجة الأمة إليها.

فلنكتب عن تاريخها المجيد، ولننقد الأكاذيب والشبهات التي أثرت من أبناء جلدتنا، ومن الحاقدين على الدين من الكفار والمنافقين وأصحاب المصالح وأهل الأهواء.

فلنعِدْ للخلافة في عقول أجيالنا مكانها، وفي علماء أمتنا ودعاتها عميمَ فضلها، وفي أفكار الرواد والمؤثرين عظيمَ الحاجة إليها.

فلنكتب عنها الآن خاصة ونحن في

عصر الانهزام، والتشتت، والضياع؛ ولتكون جهودنا في هذا السبيل باكورة حملة مدافعة للباطل ومنهجيته، والكفر وفلسفاته، التي ما عادت على الأمة إلا بمزيد من التشتت والضياع والخذلان.

كما أن الأمة في مثل حالتنا الراهنة تحتاج إلى من يبشّرها ويبصرها، والرائد لا يكذب أهله، فلم لا ندفع اليأس والإحباط عن أمتنا، ونزرع فيها اليقين في ربّ كريم، وغد عظيم، ومستقبل مبهر، وتمكين ورخاء؟ وكما قال الشيخ محمد الغزالي مستنكراً: «إذا كان واقع الصين عادياً، وأصبح الثمانمائة مليون إنسان دولة موحدة (العدد الآن مليار وأربعمائة وتسعة ملايين نسمة)، فلماذا يكون الوجود الإسلامي خيالاً مستبعداً؟ ولو كان اتحاد ولايات أو تحالف دول متأخية؟

وبالطبع، فإن هذه الحالة المتردية لم نصل إليها إلا حينما ابتعدنا عن منهج الله سبحانه في كل شؤون حياتنا.

وإنه إذا أردنا أن نستعيد مكانتنا وسط الأمم، فليس هناك طريق غير طريق الوحدة الإسلامية، وهي ليست مستحيلة في وقتنا الحاضر، فمن الممكن قيامها، بل يجب أن تقوم، خاصة ونحن في عصر تتكتل فيه الأمم وتتوحد.

إننا أمة ذات تاريخ، وما زال بيننا كتاب الله وسنة رسوله، وهما كفيلا بإيقاظنا، بل وإنقاذ العالم كله من مصير مظلم إن لم تتدارك الجميع رحمة الله.

إن الحضارة الغربية في طريقها إلى الإفلاس فلننفض عن أنفسنا غبار القرون، ولنخلصها من الشوائب والرواسب التي جاءتنا من هذا وذاك، ولا سبيل أمامنا -لدينا وأخرتنا- إلا ديننا، إلا نظام حكم إسلامي يردنا ويرد العالم كله إلى الصواب، والرشاد، ولنحذر المعوقين. ■

رحلة البحث عن هوية مع سقوط الخلافة العثمانية



في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ / ٣ مارس ١٩٢٤م، تُصدر الجمعية الوطنية التركية مرسوماً بإلغاء الخلافة العثمانية، إعلاناً قُوبل باستهجان في العالم الإسلامي، ومحاولات ضعيفة، لم يكتب لها النجاح، لإعادتها، لكن هذا السقوط المدوي أنتج توترات في الهوية، بدءاً من تركيا ذاتها، إلى الأقليات المسلمة في أوروبا وآسيا، إلى الأقالييم ذات الأغلبية المسلمة، لتبدأ رحلة البحث عن هوية جديدة.



مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

سبق استبعاد الإسلام، بقرار فوقى عام ١٩٢٤م، من تكوين الهوية التركية، مساع لبناء هوية قومية تركية لتحل مكان الهوية الإسلامية، ففي أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت «الطورانية» كحركة سياسية سرية قومية، تدعو لتوحيد العنصر التركي، وقد أدى اليهود^(١) دوراً في الصياغة الفكرية والتنظيمية للحركة، التي اعتبرت الإسلام عائقاً في بناء الهوية التركية، ورأت أن الإسلام يفتح الهوية التركية على مكونات غير تركية؛ لذا أخذت الطورانية تنبش الماضي لتبني حضورها الهوياتي بين قبائل المغول في آسيا.

ومع انتخاب مصطفى كمال أتاتورك

رئيساً لتركيا عام ١٩٢٣م، شرع أتاتورك في النزاع القهري للهوية الإسلامية والعثمانية، من خلال مشروع تحديثي علماني استبدادي، يستبعد مظاهر الهوية الإسلامية في الزي والقوانين واللغة والتعليم ومؤسسات الدولة، فقد نظر أتاتورك للإسلام كتهديد مركزي للهوية التركية الجديدة؛ لذا كانت حربه على كل عناصر الهوية الإسلامية قمعية واستئصالية، فسعى لإزاحة الإسلام من المجال العام، من خلال القطيعة الكاملة مع الماضي العثماني بكافة إنجازاته وإخفاقاته.

توترات هوياتية

لكن الجراحة الأتاتورية للهوية العثمانية أنتجت توترات هوياتية في تركيا الجديدة، فتشكلت قوى وحركات إسلامية سرية حافظت على الهوية الإسلامية، ومارستها بعيداً عن رقابة الدولة، وكانت تحدياً للعلمنة القسرية، ومناقضة للهوية الجديدة، وكذلك مواجهة حركات انفصالية داخلية، أبرزها حركة الشيخ سعيد بيران، وهي انتفاضة في المناطق الكردية ضد الحكم التركي، رفعت شعار «لتحيا الخلافة ولتسقط الجمهورية»، لكنها انتهت بإعدام بيران في ٣٠ يونيو

١٩٢٥م، فكان ذلك أحد تجليات توتر الهوية التركية التي سعى أتاتورك لفرضها قسراً. ومن ناحية أخرى، وجدت الهوية التركية الجديدة نفسها أمام تحدٍّ آخر، وهو قبول مئات الآلاف من ذوي الأصول التركية الذين طردوا من أوطانهم لانتماء غالبيتهم للإسلام، فاستقبلت تركيا مئات الآلاف من الذين طردوا من الاتحاد السوفييتي واليونان ويوغوسلافيا والبلقان، فقد شكل إلغاء الخلافة أزمة هوية ووجود لكثير من الأقليات المسلمة في آسيا وأوروبا، وبخاصة أقليات الاتحاد السوفييتي واليونان وألبانيا والبلقان؛ إذ كانت تلك الدول تُكنّ عداءً عميقاً للعثمانيين، فحُوربت الهوية الإسلامية؛ مما وضع تلك الأقليات أمام أزمة هوياتية، وأمامها خيارات كلها مُرة، فإما أن تتخلع من هويتها الإسلامية، وتنتمي لهوية جديدة سواء في المسيحية أو الشيوعية، وإما الإبادة، وإما التهجير.

كان الأوروبيون يرحبون بأن تعود الهوية الأوروبية مسيحية لا حضور للمكون الإسلامي داخلها، ومن ثم كان الصمت الأوروبي عن القمع الوحشي الذي حاق بتلك الأقليات، وزاد من معاناة الأقليات أن أغلب

الهوية التركية الجديدة واجهت تحدي قبول الأتراك المسلمين الذين طردوا من أوطانهم

جرى دمج بين الأفكار القومية العربية والعلمانية لبناء هوية جديدة مستلهمة تجارب أتاتورك

القومية العربية والعلمانية والتحديث لبناء هوية عربية جديدة، ومع إلغاء الخلافة كانت بعض الهويات القُطرية أخذت في التشكل، خاصة مع دولة الاستقلال، كما استلهمت تجارب عربية أفكار أتاتورك في الإعراض عن الإسلام في بناء الهوية القُطرية؛ لذا تحولت الدولة القومية إلى أداة لتفكيك الهوية، مع لجوئها للعنف لقمع الهويات الأخرى.

ولم تستطع الهوية القومية المستحدثة أن تكون بوتقة للهويات المتنوعة في المجتمع، فكانت التوترات عميقة، وكان القمع عنيفاً، لكن الضربة القاصمة التي أُصيبت بها القومية كهوية بديلة، جاءت مع انهيار الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١م، إذ يتشابه هذا الانفصال في تأثيراته على القومية تأثير انهيار الخلافة عام ١٩٢٤م، فمع انهيار الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦١م، انصرف العرب إلى البحث عن هوية تخص كل دولة، دون البحث عن هوية جامعة. ■

الهامش

(١) كان من أبرز اليهود الذين صاغوا البناء النظري للطورانية المجري أرمنيوس فامبيري، الذي قال صراحة: «الإسلام ينافي الوطنية»، واليهودي الألماني ألبرت كوهين الذي تكرر تحت اسم تركي هو تكين ألب وكتب: «يجب أن نكون أنفسنا.. إن جيلنا بالكامل ليس تركيا، ويجب تأسيسه وإصلاحه على أسس جديدة».

تم تهجير ٢٨٤ ألفاً من اليونان، كما توافد الأتراك المسلمون من مقدونيا عام ١٩٢٤م، وتم تهجير ٣٠٥ آلاف من يوغوسلافيا.

وحسب الإحصاءات التركية، فقد قدم أكثر من ٨٠٠ ألف شخص من البلقان إلى تركيا في الفترة ما بين عام ١٩٢٣ و١٩٤٥م، كما توافدت هجرات من تركستان الشرقية بعد الاحتلال الصيني.

القومية العربية

وعربياً، تسببت أزمات الخلافة العثمانية بتوترات في الهوية بالمنطقة العربية، ونشأت أزمة الهوية بين مسيحي الشام، في البداية، الذين بحثوا عن هوية للانتماء، ووجدوا ضالتهم في القومية العربية، متأثرين بالتجربة الألمانية التي اتخذت من اللغة مركزاً لبناء الهوية القومية، ومن ثم ظهرت الجمعيات القومية السرية العربية المناهضة للأتراك وسياسة التتريك في نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، وظهر كتاب «إحياء الأمة العربية» عام ١٩٠٥م، وهو أول كتاب يحمل مصطلح «الأمة العربية» صراحة، كتبه بالفرنسية نجيب عازوري، داعياً إلى انفصال العرب عن الدولة العثمانية.

وقد جرت عمليات دمج بين الأفكار

أتاتورك شرع في النزاع القهري للهوية الإسلامية والعثمانية بمشروع علماني استبدادي

.. ما أنتج توترات هوياتية فتشكلت حركات إسلامية سرية حافظت على هويتها

الأنظمة التي تشكلت في البلقان وأوروبا الشرقية بعد سقوط الخلافة كانت شيوعية، فشنت حرب قاسية على هوية الأقليات المسلمة، لمسحها واستبدال هوية أخرى بها، ففي ألبانيا، ورغم أن المسلمين كانوا أغلبية فيها، فإن نظام الملك أحمد زوجو، الذي وُصف بأنه «أتاتورك ألبانيا»، سار على نهج أتاتورك في محاربة الهوية الإسلامية، فألغى الحجاب والتعليم الإسلامي، وحارب كل مظهر للهوية الإسلامية.

كذلك كانت هناك عمليات تصفية لكل مظاهر الهوية الإسلامية في البلقان، فوقعت بلغاريا مع تركيا اتفاقية في أكتوبر عام ١٩٢٥م، جرى بمقتضاها تهجير الكثير من مسلمي بلغاريا إلى تركيا، فخلال ١٠ سنوات غادر ٣٥% من مسلمي بلغاريا بلادهم، وقدرت الأعداد بحوالي ٢١٨ ألفاً، كما



سقوط الخلافة.. وإشكالية الهوية لدى الشباب المسلم

على الرغم من أن القراءة المتأنية لما كان يدور في دولة الخلافة العثمانية في سنواتها الأخيرة تشير بوضوح إلى أن ما حدث أمر متوقع، فإن صدمة كبيرة أصابت الشباب المسلم آنذاك الذي وجد نفسه في مآزق تاريخي لم يسبق له وجود من قبل.

فالامر لم يكن مجرد سقوط خلافة ومن ثم قيام أخرى بديلة، بل تصفية الفكرة نفسها بما تحمله من دلالات ورموز تشكل هوية الذات المسلمة، بل وجد الكثير من الشباب المسلم نفسه مرغماً على تغيير هويته تارة تحت تهديد مشانق أتاتورك التي أقامها أمام المساجد، وأخرى بفعل عدوى الأفكار التي ربطت بين التخلف والجمود والاستبداد، ونظام الخلافة الذي تصدع وانشقت عنه الهوية الوطنية كبديل أو الهوية القومية كبديل آخر.

فاطمة عبدالرؤوف

على الرغم من أنه لا يوجد تناقض حقيقي بين الوطنية والقومية والإسلام، بل هي دوائر متداخلة، فإنه تم التعامل مع هذه الهويات باعتبارها هويات متناقضة، وارتبطت الهوية الوطنية والقومية بالعلمانية المعتدلة أو المتطرفة بحسب ظروف كل بلد، وكان نصيب تركيا الحد الأقصى من العلمانية المتطرفة التي تريد محو حتى الرموز الإسلامية الصغيرة في عملية خطف منظمة للهوية المسلمة، ومحاكاة حرفية لما حدث للمسلمين في الأندلس.

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها السلطان عبدالحميد لمنع انهيار الخلافة كتحديثه للجيش والتوسع في التعليم وإنشاء خطوط سكك حديدية ومحاولاته للتصدي لجماعة الاتحاد والترقي وغير ذلك، فإنها كانت إصلاحات جزئية لصعد وشقوق كبيرة أصابت الخلافة العثمانية.

فالتحديث الحقيقي الذي كانت تحتاجه

على أن يحتفظ بجميع السلطات في يده، وهو موقف سياسي جامد لا يتناسب مع الأحداث التي تتصاعد وتشتعل، وكانت الحاجة ماسة لأحكام سلطانية تتسم بالتجديد ولا تفرض في هوية الأمة الحقيقية بعيداً عن الغبش المرتبط بالاستبداد والتقليد.

صراع الهوية

طرح سقوط الخلافة الكثير من التساؤلات والإشكالات، وجاء سؤال الهوية كواحد من أهم الأسئلة التي طرحت على العقل الجمعي للأمة، فقلد مثل سقوط الخلافة لدى البعض سقوطاً

كان على مستوى القيم والأفكار، ففي الوقت الذي كانت أوروبا تشتعل بأفكار الثورة الفرنسية وما تحمله من قيم الحرية والفصل بين السلطات والثورة على سلطة الكهنوت، وكان رجال الاتحاد والترقي وشباب تركيا الفتاة بجميع اتجاهاتهم يقرؤون ما ينشر في باريس ويعتمدون عقلية التقليد والمحاكاة للغرب لصناعة هوية جديدة، رفض السلطان عبدالحميد التعاطي مع ما يطرحه عليه جمال الدين الأفغاني من مخطط للإصلاح السياسي للدولة المترهلة ورفض الحكم الدستوري، وأصر

سقوط الخلافة مثل لدى البعض سقوطاً للمشروع الإسلامي الذي كان يمنح منظومة الخلافة الشرعية

.. وكان الدافع الأهم لظهور
العديد من الحركات التي دعت
إلى شمولية الإسلام لمناحي
الحياة

بعد مرور قرن كامل على سقوط الخلافة لا تزال الأمة الإسلامية في حالة من الصراع الهوياتي!



الواقع السياسي، واستطاعت التوازن بين الثوابت والمتغيرات الكثيرة في المجتمع. نجحت الحركة في محاولتها للإصلاح بتحويل الأفكار والأشخاص المؤمنين بها (معظمهم من الشباب الذين كانوا يبحثون عن الهوية الإسلامية بعيداً عن الجمود الذي أصابها نتيجة سنوات التقليد والركود) إلى العمل المؤسسي، ومن ثم استطاعت خلال سنوات قليلة الوصول لمرحلة الكتلة الحرجة المؤثرة، وأصبح لها فروع في معظم البلدان العربية تسعى جميعاً لتجديد هوية الشباب المسلم، ولإعادة إحياء فكرة الخلافة الراشدة القائمة على الشورى، وجعل هذا من أهم أهداف الحركة، والنظر بموضوعية لفترة الخلافة العثمانية حتى في سنواتها العجاف الأخيرة.

والآن، وقد استدار الزمان ومقرن كامل على سقوط الخلافة، ولا تزال أمتنا في حالة من الصراع الهوياتي.. سقطت الشيوعية وظن بعضهم أن التاريخ قد انتهى بانتصار الرأسمالية الجديدة، وحاول آخرون اختطاف وعي الشباب في فضاء العولمة وتذويب هويته واختراقه وتكريس مشاعر عجز الذات الحضارية لديه، لكن معادلة المدافعة أبت إلا أن تقدم لنا نموذج شباب المقاومة؛ شباب «طوفان الأقصى»، كدليل حي يكتب بدمائه الطاهرة هوية الأمة الحقيقية. ■

تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟! فسقوط الخلافة العثمانية أثار العقل المسلم للبحث عن إجابات، وعن إجراء مراجعة للأفكار والأطروحات، وخاصة ما يتعلق منها بالجانب السياسي، ففي تركيا وبعد هلاك أتاتورك بدأت محاولات حثيثة لاقتحام قلاع العسكر والعلمانيين مرة بتفعيل فلسفة المصلحة، ومرة باقتحام مجال المال والأعمال والصناعة، ومرة بالقبول بقواعد اللعبة السياسية، وكان الهدف من ذلك كله إحياء الهوية الإسلامية والحصول على بعض المكاسب الجزئية؛ كافتتاح المدارس الإسلامية لضمان إبقاء جذوة الوعي مشتعلة في عقول الأجيال الجديدة.

الحركات الإسلامية

أما في البلاد العربية، فقد ظهرت العديد من الحركات التي تدعو لشمولية الإسلام لمناحي الحياة، فسقوط الخلافة العثمانية كان الدافع الأهم لقيام هذه الحركات، أو يمكن القول: إنها النتيجة الأهم التي ترتبت على هذا السقوط، ولعل حركة الإخوان المسلمين من أهم هذه الحركات التي ظهرت بعد سقوط الخلافة ببضع سنوات قليلة للعمل على إعادة إحياء وتجديد الهوية الإسلامية.

انفتحت الحركة على كل الإسهامات الفكرية السابقة لها (أفكار الأفغاني، وعبد، ورشيد رضا)، ودعت لعودة الخلافة الراشدة، وثمّنت قيمة الشورى، وتعاملت بمرونة مع

للمشروع الإسلامي الذي كان يمنح منظومة الخلافة الشرعية، وتعلت أصوات تطالب بتقليد أوروبا، أو كما يقول طه حسين: «إننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة حتى نصبح جزءاً منها؛ لفظاً ومعنى وحقيقة وشكلاً».

تحالفت العلمانية مع الهوية الوطنية لتمثل ملمحاً من ملامح الأمة بعد سقوط الخلافة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن حركة تحرر وطني حقيقية، وهادنت الاستعمار، ودخلت معه في ألعاب السياسة، ثم تحالفت مرة أخرى مع الهوية القومية في مد جارف، وتحولت لمنتج يشبه الخلافة، لكنه مقتصر على القومية العربية، ومؤدلج بالعلمانية والاشتراكية، وآمن آخرون بالهوية فوق الوطنية أو الأممية، مع انتشار الفكر الشيوعي بين طبقات من المثقفين والطلبة والعمال خاصة بعد نجاح الثورة البلشفية.

أصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه حالة من الصراع الهوياتي بين هذه المجموعات والأيديولوجيات.

وبقي القطاع الأكبر من الشعوب منشغلاً بأمور المعاش، متمسكاً بهويته الإسلامية بصورة فطرية، فالهوية الإسلامية إحدى ركائز بنائه النفسي، وغياب هذه الهوية عنه يمثل تهديداً وجودياً له.

ارتبط سؤال الهوية بسؤال النهضة: لماذا

منذ الإعلان رسمياً عن إلغائها عام ١٩٢٤م، تحوّل هدف استعادة الخلافة المطلب الرئيس للعديد من الدعوات والحركات والجماعات، وطفى على اهتمام المفكرين والمجددين والعاملين في حقل المشروع الإسلامي، الذين رأوا في سقوط الخلافة خسارة كبيرة، وانتكاسة خطيرة، وفقداناً للتمثيل والتعبير الأهم عن وحدة الأمة وهويتها الثقافية. رغم ما كانت تعانيه من ضعف وتفكك وتبدّل في الأسس التي قامت عليها الخلافة الأولى من الشورى وحق الأمة في اختيار من يحكمها.

الحركات والمشاريع الإسلامية ومحاولة سد الفجوة.. نظرة تقييمية



وخلال العقود الثلاثة الأخيرة، طرأ تطوّر إشكالي تمثل في تسرّع بعض المجموعات ذات التوجّه الإسلامي بإعلان قيام إمارة أو خلافة في بقعة ما ومطالبة المسلمين في العالم بمبايعة الأمير أو الخليفة، حصل ذلك عام ١٩٩٦م حين أعلنت حركة «طالبان» إمارة أفغانستان الإسلامية ومبايعة الملا محمد عمر أميراً للمؤمنين، وطالبت عموم المسلمين بمبايعة خليفته على السمع والطاعة.

وتكرر الأمر عام ٢٠١٤م حين قفز «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) قفزة في الهواء، وأعلن قيام الخلافة الإسلامية وتنصيب زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين في كل مكان.

الحركة الإسلامية الهندية (١٩١٩ - ١٩٢٤م) واحدة من أقدم الحركات الإسلامية التي دعت لاستعادة الخلافة، فيما كانت إعادة الخلافة من أهم أهداف جماعة الإخوان المسلمين التي تأسست عام ١٩٢٨م، وأكد مؤسسها «أن الإخوان يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم».

وقد انبثق عن جماعة الإخوان أو تأثر بمدارسها العديد من الحركات والمجموعات الإسلامية التي وضعت هي الأخرى استعادة الخلافة على رأس قائمة أهدافها وأولوياتها، كالجماعة الإسلامية في باكستان التي تأسست عام ١٩٤١م، وحزب التحرير الإسلامي الذي نشأ عام ١٩٥٢م، وكانت عودة الخلافة فكرته المركزية.



عاطف الجولاني
كاتب ومحلل سياسي

شكّلت فكرة إعادة الخلافة نقطة جذب وعامل إلهام للعديد من الحركات الإسلامية والمشاريع الفكرية، واستمرت المحاولات والجهود لتحقيق ذلك على مدار قرن كامل من الزمن ولم تتوقف، وتعتبر حركة الخلافة المعروفة أيضاً باسم

الحركات الإسلامية نجحت في الحفاظ على الهوية ونشر الوعي بشمولية الإسلام

.. ولكنها فشلت بتحقيق حد أدنى من الوحدة أو التنسيق بين جهودها



من خلال التركيز في الأدبيات والمناهج والبرامج والخطاب السياسي والدعوي على هدف استئناف الحياة الإسلامية وضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، والثاني: تقديم نموذج وصيغ عملية تُعبّر جزئياً عن وحدة الأمة وعن رفض الخضوع للواقع القُطري ولينطق التجزئة والتفتت.

نجاح وفشل؟

وفي تقييم مدى نجاح الحركات والمشاريع الإسلامية في تحقيق الهدفين، يُلاحظ أنها حققت نجاحاً جيداً في الحفاظ على الهوية الإسلامية، ونشر الوعي بشمولية الإسلام لجميع مناحي الحياة، وتشكيل الرأي العام المطالب باستئناف الحياة الإسلامية وتطبيق الشريعة، فيما كان الأمر مغايراً فيما يتعلق بهدف تقديم النموذج والتعبير عن وحدة الأمة وتجاوز قيود الجغرافيا وسطوة الواقع القُطري.

فعلى صعيد التجربة العملية، يُلاحظ أن الحركات الإسلامية العاملة على توحيد الأمة واستعادة الخلافة فشلت في تحقيق حد أدنى من الوحدة أو التنسيق بين جهودها.

وعلى صعيد الحركة الإسلامية الواحدة،

وعبرت هذه الإعلانات الساذجة والمتعجلة وغير الواقعية عن قصور الفهم، وغياب النضج الفكري والسياسي، وضعف إدراك الواقع السياسي بمعطياته وتعقيداته، ومنيت تلك الخطوات المتسرعة بفشل ذريع، ووصلت إلى طريق مسدود.

عقبات وتحديات

ويُلاحظ أن جهود إحياء الخلافة واجهت عقبات وتحديات كأداء، وضعت سداً منيعاً أمام تحقيق نجاح عملي على هذا الصعيد، ومن أهم تلك العقبات:

- حالة التحفّز لدى القوى الدولية لإفشال أي محاولات لإنجاز وحدة عربية أو إسلامية، ولإجهاض أي دعوات لإحياء الخلافة، نتيجة الإرث التاريخي السلبي والمخاوف والهواجس من تبعات ذلك.

- خضوع معظم الدول العربية والإسلامية للاستعمار، ونجاح المخططات الدولية في تكريس حالة الانقسام والتجزئة وتفتيت الأمة إلى دول وكيانات ضعيفة ومتناحرة، مسلوقة الإرادة وتابعة لنفوذ القوى المهيمنة.

- سيطرة الاستبداد السياسي، واحتكار السلطة، وهيمنة العلمانية وفلسفتها في الحكم على الكثير من الأقطار العربية.

- تكريس الواقع القُطري والدولة الوطنية، على حساب الأطر السياسية الجامعة.

- استهداف الجماعات والحركات الإسلامية التي تحمل المشروع الإسلامي وتدعو لإحياء الخلافة، والعمل على إضعافها وإقصائها وقطع الطريق على وصولها إلى مواقع التأثير والتوجيه في دولها ومجتمعاتها.

وفي مواجهة الواقع الصعب والتحديات الكبيرة التي واجهت جهود إحياء الخلافة، طرأ تطوّر مهم على وعي المفكرين الإسلاميين والقائمين على أمر الجماعات والحركات الإسلامية، تمثّل في إدراكهم لأهمية ملء الفراغ وسدّ الفجوة الناجمة عن غياب الخلافة في تعبيرها عن الهوية الثقافية والوحدة الإسلامية.

فقد باتوا يُننون بتحقيق هدفين أساسيين؛ الأول: إبراز الهوية الثقافية الإسلامية للأمة،

وجدت نفسها مع مرور الزمن خاضعة لضغط الواقع القُطري واستحقاقات الدولة الوطنية، ولم تستطع في معظم الأحيان الحفاظ على أكثر من وحدة شكلية لأجسامها الممتدة جغرافياً على دول متعددة تتباين ظروفها وأوضاعها السياسية، ولم يعد ممكناً تشكيل جسم موحد بقيادة مركزية، وعوضاً عن ذلك لجأت لإقامة صيغ تنسيقية تحافظ على استقلالية كل تشكيل محلي من تشكيلاتها وتراعي خصوصيته الوطنية.

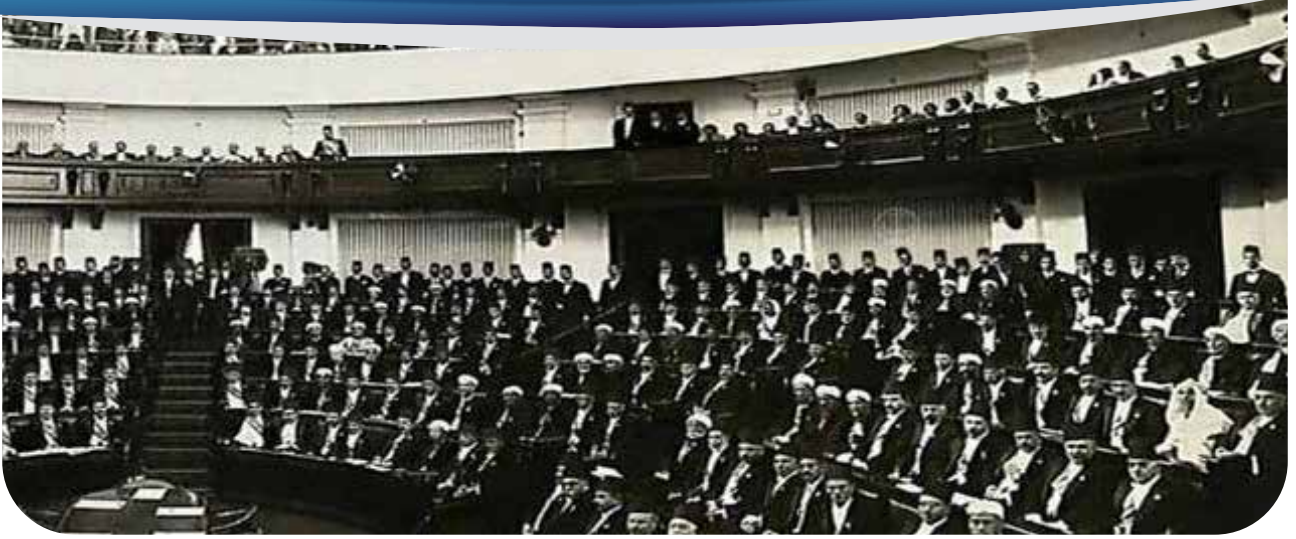
وفي ضوء ما آل إليه الواقع العربي والإسلامي من انقسام وتجزئة وتكريس لواقع الدولة القُطرية أو الوطنية، وفي ظل ما واجهته تجارب الحركات الإسلامية من صعوبات ألجأتها لاعتماد صيغ التنسيق عوضاً عن الوحدة الكاملة والقيادة المركزية، وجدت تلك الحركات نفسها مضطرة لإعادة النظر في طروحاتها السابقة ولاعتماد مقاربات أكثر مرونة وواقعية.

وبات الحديث عن الخلافة كمظلة سياسية ومرجعية دينية تحظى ببرمزية التعبير عن وحدة الأمة وعن هويتها الثقافية، من خلال صيغ وأطر تنسيقية مرنة: أمراً مقبولاً لدى الكثير منها.

وقد تتبّه مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا مبكراً للصعوبات العملية التي تعترض طريق إحياء الخلافة، وتبّنى فهماً مرناً ومتدرجاً لتحقيق ذلك، وأكد في «رسالة المؤتمر الخامس» عام ١٩٣٨م أن الأمر «يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بدّ منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بدّ أن تسبقها خطوات؛ لا بدّ من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات، وعقد المآتمرات والمؤتمرات بين هذه البلاد».

إن التمسك بأشواق الأمة وتوقها لإحياء الخلافة عنواناً للوحدة والهوية الإسلامية من خلال تطبيقات واقعية، يظل أمراً مهماً، رغم إدراك صعوبة تحقيق ذلك دون قيام دول شورية ديمقراطية تُعبّر عن إرادة مجتمعاتها وشعوبها التي تتوق للوحدة والحرية واستعادة الدور والمكانة الحضارية. ■

الخلافة والدولة القومية الحديثة.. التشابهات والاختلافات



يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة أمر ونهٍ. وما ذكره ابن تيمية هو الأصل في نظرية «العقد الاجتماعي» الذي تقوم عليه الدولة الحديثة، فالبشر لا بد لهم من إطار ينظم اجتماعهم الإنساني ويحقق مصالحهم ويدفع عنهم الأخطار التي تهددهم، وفي مقابلة هذه المنافع يتنازل الأفراد طواعية عن بعض حرياتهم ومكتسباتهم لصالح هذا الإطار دولة كان أم خلافة.

وهذا لا يعني أن ثمة تطابقاً بين الخلافة والدولة القومية الحديثة التي ظهرت في الغرب منذ ثلاثة قرون وعمت العالم بعدها؛ ذلك أن هناك مسائل حيوية تتقاطع فيها الخلافة مع الدولة القومية الحديثة، ومن بينها مسائل السيادة والشرعية والديمقراطية وسلطة الدولة على مواطنيها:



د. فاطمة حافظ
باحثة في التاريخ والحضارة

أصل الفقهاء لنظام الخلافة، ودونوا في طبيعته ودواعيه والأسس التي تجعل منه ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، ومن هؤلاء ابن تيمية في كتاب «الحسبة»، وفيه اعتبر الخلافة لا غنى عنها؛ لأن «كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها

أفلح المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في ابتكار نظام سياسي لم يسبقهم إليه أي من الأمم السالفة، وهو نظام الخلافة الذي اصطلح الفقهاء على تعريفه بأنه «القيام مقام صاحب الشرع لتحقيق مصالح الدين والدنيا»؛ لذا يوصف بالثنائية لمرعاته مصالح العباد في الدارين، وهو في ذلك يخالف النظم السائدة في عصرهم؛ وهي إما نظم سلطوية دنيوية تمجد سلطان الفرد أو ما أسماه ابن خلدون بـ«الكسروية»، أو نظم ثيوقراطية دينية تزعم أنها تحكم باسم الإله.

الفقهاء: سيادة الدولة لا تنافي الفكرة الإسلامية لأن الحاكم نائب عن الأمة وليس مفوضاً من الله

- السيادة:

وهي في التعريف السياسي المعاصر «السلطة العليا التي لها حق إصدار القوانين، وإلزام الناس بها جميعاً من دون أن تكون مقيدة بشيء ولا أن تستمد مشروعيتها من أحد، فهي سلطة واحدة مطلقة مقدسة»، وهذا التعريف يعني أمرين: أنها لا تعترف بمشروعية أعلى منها حتى وإن كانت إلهية، وأنها بذاتها مقدسة وبالتالي لا تسمح بأي سلطة أخرى تنازعها القداسة.

أما النظرية السياسية الإسلامية كما جسدها الخلافة فتختلف في هذه المسألة: إذ لا تعرف مثل هذه السلطة المطلقة، وإنما السلطة طبقاً لها ترد عليها قيود مهمة، ولكنها تعرف الشريعة وأمرها ونواهيها وتسعى إلى تطبيقهما، وتعرف السلطان وتضع لتصرفاته إطاراً قانونياً وأخلاقياً ملزماً، لكنها لا تعرف السيادة لأي جهة إنسانية فضلاً عن أن تمنحها صفة القداسة؛ ذلك أن السيادة لله تعالى وحده، لا ينازعه فيه جهة أو مؤسسة أو فرد، ومصدرها الوحي لا الدستور كما في الدولة الحديثة.

وعلى هذا ظل سؤال السيادة محسوماً إسلامياً طيلة قرون، ولم يثر إلا مع سقوط دولة الخلافة منذ قرن، إذ حاول الفقهاء والمصلحون الإسلاميون تقليص الفجوة بين النظريتين الإسلامية والحديثة، فذهبوا إلى أن سيادة الدولة أو الشعب لا تنافي الفكرة الإسلامية؛ لأن الحاكم أو الخليفة هو نائب عن الأمة وليس مفوضاً من قبل الله، وليست له عصمة؛ ويمكن بالتالي مراقبته وعزله إذا خالف ضوابط الشرع، والأمة لها الحق والحرية في اختيار ومبايعة الحاكم الذي تراه مناسباً، وفق الضوابط الشرعية.

حرية الدولة مكفولة إلا من قيدين عدم مخالفة الشرع وعدم الإضرار بالمصلحة العامة للأمة

- الشرعية:

القاعدة التي تُبنى عليها الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة الإسلامية مقيدة بالشرع، بحيث تعدّ القواعد الشرعية الثابتة بالنص الديني هي الحدود الطبيعية التي لا يجوز لها أن تتخطاها، فالتشريعات والسياسات العامة لا ينبغي أن تخرج عما قرره الشرع، وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى أن حرية الدولة مكفولة إلا من قيدين؛ عدم مخالفة الشرع، وفي عدم الإضرار بالمصلحة العامة للأمة، وفي المقابل تتسع صلاحية التشريع في الدولة المعاصرة لكل شيء إلا ما عارض الدستور، بل لها تعديل الدستور نفسه إذا ما ارتأت الهيئة التأسيسية المثلة للأمة ذلك.

- الديمقراطية ونظام الحكم:

النصوص الدينية الإسلامية لا تقدم تفصيلات يفهم منها طبيعة النظام السياسي، أو ماهية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، إذ تظل هذه المسائل محل اجتهاد أهل كل عصر مع التزام بالقيم الإسلامية المؤطرة لها؛ وهي الشورى والعدالة والمصلحة.

وأما النظرية السياسية المعاصرة فهي تدعو إلى ترجيح النظام الديمقراطي على غيره من النظم الحاكمة، مفترضة أنه النظام الأمثل والأجدر بالاتباع، وقد انتقد بعض

الإسلام لم يقدم تفصيلات لطبيعة النظام السياسي فهي محل اجتهاد مع التزام بالقيم الإسلامية

الخلافة لم تسع لأن تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم صلبة قوامها الإلزام والإجبار بل مرنة

تقاطعات جوهرية تفصل الخلافة عن نظم الحكم المعاصرة فهما متباينان لا التقاء بينهما

المفكرين الإسلاميين هذه الدعوة إلى تبني الخيار الديمقراطي، مثل المودودي الذي ذهب إلى أن الديمقراطية تضاد مفهومي الحاكمية والسيادة لله، بما تفترضه من إشعار كل شعب أنه سيد نفسه ويحق له أن يشرع ما شاء متى شاء، ولأنها تتبنى مبدأ الأغلبية العددية حتى وإن كانت مسيطرة للأهواء، لكن المفكرين الإسلاميين المعاصرين، مثل حسن الترابي، وراشد الغنوشي، خالفوا ذلك، واعتبروا الديمقراطية هي التمثيل الصادق المعاصر عن مفاهيم الشورى والبيعة والإجماع.

- علاقة الدولة بمواطنيها:

لم تسع الخلافة يوماً لأن تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم صلبة قوامها الإلزام، إذ كانت العلاقة بينها ذات طبيعة مرنة، حيث اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه بإقرار أهل القبائل على عاداتهم وممارساتهم دون تدخل بعد دخولهم الإسلام والاكتفاء بإرسال العمال إليهم، كان الأمر أشبه بحكومة لا مركزية تحقق الاتباع والطاعة، وتمنح كل ناحية أو قبيلة خصوصيتها وحريتها في إدارة شؤونها.

أما في الدولة الحديثة فهي مسؤولة عن كل شيء بالنسبة للمواطن من الميلاد إلى الوفاة؛ فيما يخص الفرد، وحتى تفاصيله، وأسراره، وشؤون الخاصة، وهي التي تفرض عليه ماذا يعمل وكيف يعمل ومتى وما إلى ذلك، ولا يحق الاختيار في ذلك بموجب الإلزام الحكومي.

الخلاصة، أن هناك تقاطعات جوهرية تفصل نظام الخلافة عن نظم الحكم المعاصرة بحيث يبدو أنهما نظامان متباينان لا التقاء بينهما. ■

أستاذ العلوم السياسية د. خيرى عمر في حوار لـ «المجتمع»:

سقوط «الخلافة» غير خريطة العالم وأضر بفلسطين

6



أكد د. خيرى عمر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة صقاريا بتركيا سابقاً، الخبير في قضايا الشرق الأوسط، أن سقوط الدولة العثمانية غير شكل خريطة العالم، وأضر بدولة فلسطين، تحت وطأة أطماع دول الاستعمار الغربي، والرغبة في ظهور هيمنة أمريكا.

وشدد، في حوار مع «المجتمع»، على أن انتهاء الدولة العثمانية كان في غالبه لأسباب داخلية، بجانب تكالب دول الاستعمار الغربي عليها، وفيما يتعلق بإمكانية استعادة التجربة التاريخية مرة أخرى، أوضح أن العودة للإمبراطورية أو الوحدة هي نتيجة تقارب عدة دول لفرض موقعها بين دول العالم وفي النظام الدولي.

حوار - حسن القباني:

• البعض يعتبر نتائج الحرب العالمية الأولى المسمار الأخير في نعش تفكك الخلافة العثمانية وانهارها، هل تتفق مع ذلك؟

- لا شك، لقد خرجت الخلافة العثمانية من الحرب العالمية الأولى في حالة تفكك، فقد ساهم وقوفها إلى جانب ألمانيا والنمسا للوصول للمرحلة الأخيرة من المسألة الشرقية، بحيث تم تقسيم الولايات وتحويلها لدول مستقلة، حسب معاهدة «سيتر»، في ١٠ أغسطس ١٩٢٠م، وتعتبر تلك الاتفاقية ضربة قوية للدولة العثمانية، حيث صارت ولاياتها نهياً لأطماع دول الاحتلال الأوروبية، وتاريخياً تعد بداية النهاية للدولة العثمانية، حيث استباحوا ما كانوا يصفونها في هذا الوقت بـ «تركة رجل أوروبا المريض»، ووزعت تركيا تحت الاحتلال البريطاني واليوناني والإيطالي والفرنسي، إلى أن جرى توقيع

معاهدة «لوزان» في سويسرا عام ١٩٢٣م، بين تركيا -التي ورثت الدولة العثمانية- والحلفاء.

• كيف انعكس سقوط الخلافة على صياغة النظام العالمي الجديد؟

- قام العالم الغربي بزرع التناقضات في أرجاء دول الخلافة، وعمل على منع ظهور كيان إمبراطوري بديل للخلافة العثمانية كما جرت العادة في العالم الإسلامي، بداية من الدولة الأموية وصولاً إلى الدولة العثمانية، وساهم ذلك

معاهدة «سيتر» كانت المرحلة الأخيرة في تقرير مصير الخلافة العثمانية

الحرب العالمية الأولى عصفت بما تبقى من الإمبراطورية الإسلامية

في صعود المد القومي العربي والتركي، ونزعات التمرد والاستقلال عن الدولة العثمانية.

وسرعان ما واكب ذلك بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى، إلغاء الخلافة العثمانية رسمياً، في ٣ مارس ١٩٢٤م، بعد إزاحة السلطان العثماني محمد السادس، ثم تسارعت خطوات الاستعمار الغربي لإحكام القبضة على العالم لمنع ظهور بديل للدولة العثمانية.

وعلى خلفية «الثورة العربية الكبرى» تفاقم الخلاف بين الدولة العثمانية والولايات الخاضعة لها، وخصوصاً في الانقسام حول المشاركة بالحرب لجانب بريطانيا متقارباً مع ظهور تفاهات «سايكس بيكو» عام ١٩١٦م التي حددت تقسيم الشرق الأوسط، ونتج عنها احتلال بريطانيا لفلسطين ووضعها تحت الانتداب تمهيداً لإقامة الدولة الصهيونية عليها، فيما وضع الاحتلال الفرنسي لافقة الانتداب على لبنان وسورية، وسرعان ما تم الإعلان عن



عدم إيجاد بديل محل العثمانيين ساهم في صعود الهيمنة الأمريكية

«سايكس بيكو» و«وعد
بلفور» شكلا المنطقة العربية
وابتلعا فلسطين

سقوط الإمبراطوريات الكبرى يبدأ من الداخل ثم يأتي تأثير الخارج

«وعد بلفور»، في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، بإقامة وطن
للإهود في فلسطين، لتكون القاصمة.

تزامن مع ذلك الاعتراف الغربي
بالحكومات القومية وتعزيز النزعات القومية
الاستقلالية، بشكل جعل ظهور إمبراطورية
هيمنة دولية عالمية كبيرة وهي الولايات المتحدة
الأمريكية أمراً سهلاً، وكأنه وراثة للعالم بعدما
تم إسقاط الإمبراطورية الأكبر في العالم وهي
الإمبراطورية الإسلامية.

• هل كانت مراكز قوى الدول الغربية السبب الوحيد لسقوط دولة الخلافة العثمانية، أم هناك أسباب ذاتية داخلية؟

- سقوط الإمبراطوريات الكبرى يبدأ من
الداخل، ولاحقاً تتدخل العوامل الخارجية،
وطبقاً لواقع دولة الخلافة العثمانية في سنواته
الأخيرة، فقد ظهرت علامات الضعف وزادت
محاولات التمرد المستمر عليها، وتخلفت عن
امتلاك أسباب القوة المناسبة والمتنوعة، في ظل
الأزمات الاقتصادية وزيادة الديون؛ ما ساهم في
تعزيز فرص نجاح الدول الغربية الاستعمارية
في القضاء على الخلافة، وهو ما يجب الانتباه
إليه جيداً، فلا يمكن لإمبراطورية أو دولة قوية
أن تسقط إلا بعد أن تتفكك من الداخل كمقدمة
للدفع بها إلى حافة الجبل.

• ذكر فلسطين، هل عجل رفض

السلطان عبد الحميد الثاني لهجرة اليهود إلى فلسطين بإسقاط دولة الخلافة وتحمل فلسطين عواقب ذلك حتى اليوم؟

- يمكن اعتبار رفض السلطان العثماني
عبد الحميد الثاني ممانعة معنوية، وموقفاً
تاريخياً، ساهم بشكل ما في تعزيز رؤية
الخلافة كعقبة وحائط صد أمام الدول الغربية
الاستعمارية، ولكن كانت عوامل سقوط الخلافة
مجتمعة سواء من ضعف الداخل أو مؤامرات
الخارج، ولا تحتاج إلى هذا السبب.

كان يمكن للخلافة إن استمرت، بشرط
تصحيح مسارها واستعادة قوتها، أن تكون
ظهيراً قوياً لفلسطين، ولكن الآن ومع استمرار
العدوان الصهيوني على قطاع غزة والضفة،
بعد معركة «طوفان الأقصى»، يمكن القول:
إن فلسطين استعادت جزءاً بسيطاً من حضور
الظهير المساند لها خاصة على المستوى الشعبي
الواسع.

• هل يقبل النظام العالمي الجديد أي وحدة للأمة الإسلامية تحت أي مسمى سواء خلافة أو اتحاد الدول الإسلامية أو مسمى آخر؟

- الإمبراطوريات تصنع نفسها بنفسها،
وتضع شروطها بنفسها، ولا تستأذن من أحد،
وعندما تمتلك الأمة الإسلامية نهضة قوية

قادمة من تراكم القوة الشاملة وترسيخ أسباب
القوة الاقتصادية والإنتاجية الضخمة، لا يمكن
لأحد أن يقول لها ما تفعل، سواء أن تعلن وحدتها
أو لا تعلن، فالجميع ساعتها يدعن للقوي، والذي
يحدث الآن أن الصراع ما زال محتدماً بين قوى
الهيمنة بكل تنوعاتها سواء أمريكا، أو الصين،
أو روسيا وريثة الاتحاد السوفييتي، في محاولة
لاذعان طرف لآخر، في ساحة دولية بات
الصراع على الهيمنة فيها أولوية تلك الدول
الكبرى.

• البعض يتحدث بعد اتهامه لـ«داعش» بتشويه مفهوم الخلافة أن الأمة بحاجة إلى صك مصطلح جديد على غرار فكرة الاتحاد الأوروبي، كيف تري ذلك؟

- هذه قضية متشابكة تجمع ما بين
السياسة والفقه والواقع، وهناك اجتهادات
فقهية في مضمار فكرة الخلافة، وما أرتاح له
أنها مسألة ظنية، يمكن أن تعزز باعث الوحدة
تحت أي شكل مناسب، وعنوان مناسب، وأعتقد
أن متطرفي «داعش» لم تلمس تصوراتهم
مفهوم الوحدة، وهناك مشكلة أكثر أهمية،
وهي أن التنظيمات الحركية الإسلامية لم تقدم
تصوراً واضحاً حول مفهوم الخلافة، ولذلك
هناك فقر شديد، يمكن تعويضه بتصحيح مسار
المنظمات القائمة في العالم الإسلامي لامتلاك
أسباب القوة الشاملة. ■



فلسطين.. من سعة الخلافة إلى ضيق الاحتلال!

تأتي الذكرى المئوية لإلغاء الخلافة العثمانية، وفلسطين تعاني ما تعانيه من احتلال متغول، واستيطان غاشم، ومجازر مروعة، ومخططات كبرى للإحلال الديني في القدس والمسجد الأقصى، وما يتصل بها من استهداف مباشر لمقدسات فلسطين والأمة. هذه الحالة التي تعيشها فلسطين، تدفع المتابع لمقارنتها مع واقع هذه البلاد المباركة في ظل الخلافة المباركة، وبكل تأكيد مع ما كانت الحال عليه إبان الحكم العثماني، ومقارنة واقع البلاد في تلك الفترة مع ما يجري حالياً.



د. علي إبراهيم
باحث في شؤون القدس

سبب اهتمام السلطان بالمدينة، في سياق حديثه عن القدس عندما زارها عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م، ويقول: إن القانوني قد رأي النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤية وقال له: «يا سليمان، سوف تحقق انتصارات كثيرة، ويجب عليك أن تتفق الفنائم على تزيين مكة والمدينة، وعلى تحصين قلعة القدس لتصد الكافرين إذا حاولوا احتلالها خلال حكم خلفائك.. وعليك أن تزين صخرة الله، وأن تعيد بناء مدينة القدس».

وبعيداً عن دقة النقل، إلا أن القانوني قد

السلطان سليمان القانوني شكل نموذجاً ريادياً لاهتمام العثمانيين بفلسطين ومقدساتها

موثلاً.. يا بني، أحطّ مَنْ أطاعك بالإعزاز، وأنعم على الجنود، ولا يغرك الشيطان بجندك (بجهدك) وبمالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.. يا بني، إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأنّ بالجهاد يعمّ نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضاة الله عز وجل.. يا بني، لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة الحكم أو سيطرة أفراد؛ فنحن بالإسلام نحيا ونموت، وهذا يا ولدي ما أنت له أهل».

شكل السلطان سليمان القانوني نموذجاً ريادياً لاهتمام العثمانيين بالقدس خاصة وفلسطين بشكل عام، فقد شهدت المدينة في عهده اهتماماً بالغاً من السلطان مباشرة، ويورد الرحالة الشهير أوليا جلبي نصاً لطيفاً حول

كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية عظيمة منذ تأسيسها، واعتزتها على غرار غيرها من دول الإسلام حالات من القوة والضعف، ولكنها بقيت سداً منيعاً أمام المستعمرين وأذئابهم، ومن شواهد الأسس التي بُنيت عليها الخلافة العثمانية، ما نقلته كتب التاريخ عن وصية مؤسس الدولة عثمان بن أرطغرل لابنه أورخان، حيث تضمنت هذه الوصية دستوراً ومنهجاً أخلاقياً وشرعياً، سارت عليه الدولة العثمانية في مجمل سنواتها. إذ يقول عثمان: «يا بني؛ إياك أن تشغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فأتخذ من مشورة علماء الدين

اعتنى بالمسجد الأقصى عناية بالغة، ففي عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م تمت أول عملية لترميم مصلى قبة الصخرة، وفي عام ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م، أمر السلطان بتجديد عمارة قبة الصخرة، وبنى فيها ١٦ شباكاً من الزجاج المذهب، ومن ثم أمر بكسوة مصلى قبة الصخرة المثلث بالقيشاني الأزرق المهيّب، الذي اشتهرت به مساجد إسطنبول، وجدد في عمارة مجمل أبواب الأقصى وسوره، إضافة إلى إقامة سور القدس الباقي حتى يومنا هذا، وجزّ المياه إلى القدس، من خلال ربط المدينة بالبرك التي تُعرف حتى يومنا هذا باسمه «برك سليمان»، وأوقف على هذه المنشآت العديد من الأوقاف لصيانتها وعدم تعطلها.

وتابع السلاطين العثمانيون اهتمامهم بفلسطين والقدس حتى أواخر عهدهم، فقد ربطوا فلسطين بالخط الحديديّ الحجازي، الذي ربط بين إسطنبول والمدينة المنورة؛ ما سهل على المسلمين أداء فريضة الحج، وقبله تم مد خط سكة حديد عام ١٨٩٢م بين القدس وميناء يافا، كما ربطت القدس بخطوط التلغراف مع مصر وبيروت وأوروبا، وأنشؤوا المستشفى البلدي في الشطر الغربي للمدينة عام ١٨٩١م، وإدخال الكهرباء إلى القدس في عام ١٩١٤م.

أما اليوم، تعمل أذرع الاحتلال على هدم الآثار الإسلامية في القدس وفلسطين، وتشويه متعمد لها، وبحسب مصادر فلسطينية؛ فقد هدمت سلطات الاحتلال منذ عام ١٩٤٨م أكثر

من ١٢٠٠ مسجد، عدد منها يعود إلى الفترة المملوكية أو العثمانية، وحولت الكثير مما تبقى من مساجد إلى مخازن أو إسطبلات، وبعضها إلى أماكن للسُّكّر والمريدة، وآخر هذه المساجد قصف المسجد العمري في العدوان الهجري على قطاع غزة، وما يتصل بهذه الجرائم المروعة من تدنيس لمقابر المسلمين، وبناء المشاريع الاستيطانية مقابر المسلمين وأوقافهم.

مواجهة الاستيطان اليهودي

بدأت محاولات التصدي للاستيطان اليهودي في فلسطين في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الأول، الذي أمر متصرفية القدس إعادة قطعة أرض في المدينة، اشتراها طبيب يهودي بريطاني، على أن يبيعها لأي مواطن من الدولة العثمانية، ومع تحايل اليهود بالتواطؤ مع القنصليات الأجنبية على الإدارة العثمانية، أصدر السلطان عبدالحاميد الثاني قانوناً في مارس ١٨٨٢م يحرم بيع الأشياء غير المنقولة في الدولة العثمانية لليهود الأجانب.

وفي عام ١٨٨٤م، أصدر السلطان قراراً آخر منع بموجبه الهجرة اليهودية، مع السماح للأجانب منهم بزيارة فلسطين، على ألا تتجاوز إقامتهم فيها ثلاثة أشهر، وقد رفض السلطان عروض الحركة الصهيونية لشراء فلسطين، وإقامة دولتهم عليها، ودفع لقاء مواقفه هذه ثمناً باهظاً.

وفي مقابل هذه الجهود، فقد فتح الاحتلال

البريطاني باب الاستيطان أمام يهود أوروبا، وتُشير المصادر إلى أن عدد اليهود في فلسطين قبل سقوط الخلافة العثمانية بلغ نحو ٥٠ ألف يهودي، ومع نهاية الاحتلال البريطاني لفلسطين وصل إلى نحو ٦٥٠ ألف مستوطن يهودي عام ١٩٤٨م، وهو ما يُشكل نحو ٢٩,٥٪ من السكان، ولم تُسهم بريطانيا في رفع عدد المستوطنين فقط، بل سهلت على المستوطنين السيطرة على المزيد من الأراضي.

ففي عام ١٩١٨م، بلغ مجموع الأراضي الفلسطينية التي كان يملكها اليهود ٦٥٠ ألف دونم؛ أي ما يشكل ٢٪ من إجمالي مساحة فلسطين، بينما ارتفعت النسبة إلى ٨٪ عام ١٩٤٨م، وهي الخطوات التي فتحت المجال أمام المستوطنين للسيطرة على أجزاء كبيرة من فلسطين من خلال القوة وتسريب الأراضي وغيرها.

ولم يشهد التاريخ الإسلامي في فلسطين أي اضطهاد ديني إلا في فترات زمنية قليلة جداً، وقفت خلفها أفكارٌ دخيلة باطنية، بينما نَعِم سكان فلسطين ومختلف بلاد المسلمين بالسماحة الدينية، في ظل مؤسسة الخلافة، وتُعطي سكان البلاد من الأديان المختلفة حريتهم الدينية، وتحمي الكنائس والكُتُس على حدّ سواء.

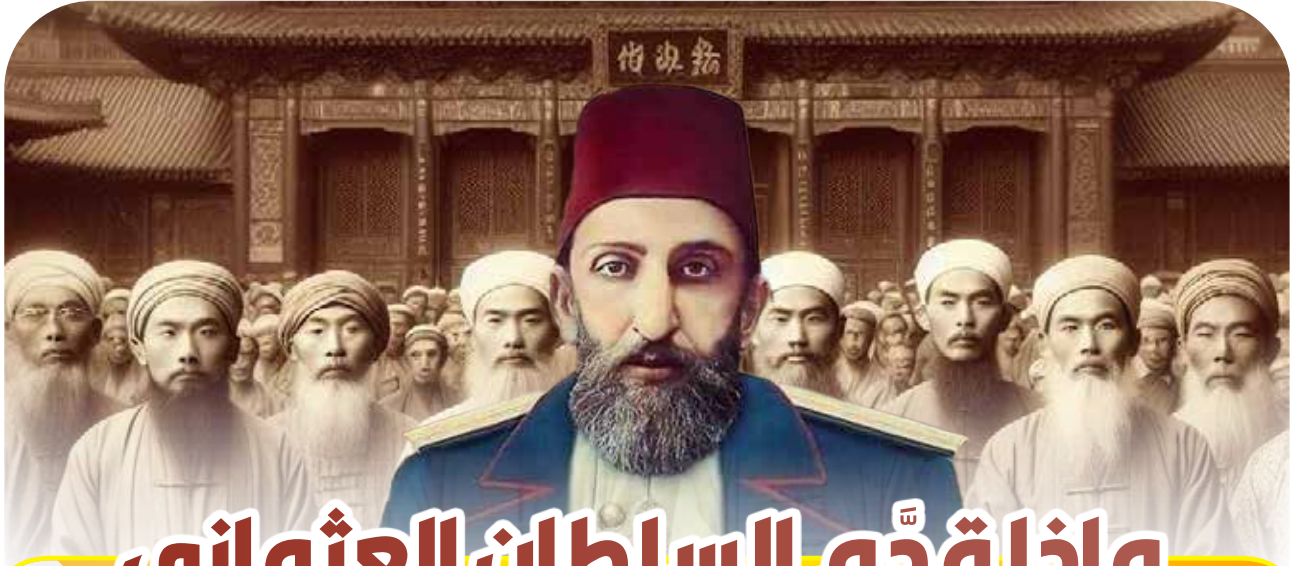
وفي هذا السياق، شهادة للباحث الفرنسي فانسان لومير، أنّ القدس حتى أوائل القرن العشرين لم تكن ميدان مناورات للمعارك القومية ولمصالح الدول الكبرى، وكانت بعيدة عن تحولها إلى جزء من الوقائع الجيوسياسية والمعارك الضارية، وما كان في القدس من انسجام بين سكانها من الأديان المختلفة قد ازدهر، بحسب لومير، في ظل السلطنة العثمانية التي امتدت سيادتها منذ عام ١٥١٧م، إلى أن حل محلها الاحتلال ثم الانتداب البريطانيان.

هذه الشهادة تؤكد ما عاشته فلسطين من سلام وأمن في ظل الحكم العثماني، وكيف سمح نظام «الملّة» المستند إلى الشريعة على فتح المجال أمام حراك اقتصادي وثقافي مميز، بينما قام الاحتلال الصليبي الفرنسي بقتل آلاف المسلمين والمسيحيين الشرقيين على حد سواء في القدس، ولم يكن نموذج الإقصاء الديني مقتصرًا على الاحتلال الصليبي فقط، فقد عمل الاحتلال الصهيوني على ترسيخ هوية يهودية في فلسطين عامة وفي القدس على وجه الخصوص. ■

الاحتلال الصهيوني عمل على ترسيخ هوية يهودية في فلسطين عامة والقدس خاصة

العثمانيون ربطوا فلسطين بالخط الحديدي الحجازي بين إسطنبول والمدينة المنورة





ماذا قدم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لمسلمي الصين؟

مرت العلاقة بين مسلمي الصين وإخوانهم في العالم الإسلامي بظروف متباينة، ارتفعت تارة وانخفضت أخرى، حسب الظروف السياسية والاجتماعية للصين ولبلدان الخلافة الإسلامية، وكانت الرسل والوفود تترا من وإلى الصين خلال عصور الدولة الأموية والعباسية والدول المستقلة، التي وافقت عصور الأسرات الصينية تانغ (٦١٨ - ٩٠٧ م)، وسونغ (٩٠٧ - ١٢٧١ م)، ويوان (١٢٧١ - ١٣٦٨ م)، ومينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م).

فلما جاء عصر أسرة تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١١ م) خضعت الصين لاحتلال المانشو الشماليين، فتغيرت أوضاع المسلمين في الصين كثيراً، وانقطعت الصلات الرسمية بينهم وبين العالم الإسلامي، واقتصرت الأمر على الزيارات الفردية التي كان يقوم بها علماء مسلمون صينيون لبلدان العالم الإسلامي وخاصة مكة والمدينة ومصر والقسطنطينية دار الخلافة آنذاك.

أسامة منصور

يؤكد المؤرخون أن بداية التقارب والانفتاح العثماني نحو المسلمين في الصين كانت في عهد السلطان عبدالعزيز عام ١٨٧٣م، الذي دعم تركستان الشرقية المسلمة في حربها مع الحكومة الصينية المركزية غير عابئ بما سيكلفه ذلك من ثمن سياسي باهظ، والإمبراطورية تعيش حالة الرجل المريض كما وصفها الغرب.

لكن الخطوة الإستراتيجية التي ساهمت في توحيد الأقلية المسلمة في الصين، جاءت من قبل السلطان عبدالحميد الثاني الذي أعلن أكثر من مرة التزامه بمشروع الاتحاد الإسلامي الذي مكّنه

من دخول أكثر من منطقة في العالم، وكانت بكين هدفة هذه المرة رغم بُعد المسافات والسياسات. ففي عام ١٨٩٠م، أرسل السلطان بعثة بقيادة الأدميرال عثمان باشا إلى الصين، عبر ساحل اليابان، ووصلت في ١٨ سبتمبر ١٨٩٠م، ثم في عام ١٩٠١م وبمساعدة ألمانيا تم إرسال بعثة أخرى، تحت قيادة أنور باشا، مصطحباً معه اثنين من العلماء، وقد وصلت هذه البعثة شانغهاي، وأقامت هناك في القنصلية الألمانية، وبعد فشل هذه البعثة بسبب ظروف التمويل، عادت إلى أوروبا عن طريق اليابان، ولكن بقي العالمان الاثنان في الصين، حيث قاما بزيارة التجمعات الإسلامية المنتشرة في الصين.

زيارة الشيخ وانغ كوان للسلطان عبد الحميد الثاني؛

وفي عام ١٩٠٥م، سافر الشيخ وانغ كوان مع تلميذه ماشان تينغ إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم اتجها بعد ذلك إلى القسطنطينية، لمقابلة السلطان عبدالحميد الثاني، ولما قابلهما الخليفة قدّما إليه اقتراحين؛ أولهما: إرسال أساتذة إلى الصين للتدريس للمسلمين الصينيين لإعداد جيل من العلماء، والآخر: تزويد المدرسة المزمع إنشاؤها بالكتب والمطبوعات الإسلامية تيسيراً للدراسة والدارسين.

وقد استجاب السلطان لطلب الشيخ كوان، وأكرم وفادته ومنحه وسام الخلافة، وعاد الشيخ

مبعوثان تركيان أسسا «المدرسة الحميدية» في بكين نسبة إلى الخليفة عبد الحميد الثاني



مسجد نيوجيه الذي يضم المدرسة الحميدية

السلطان عبد الحميد أعلن التزامه بمشروع الاتحاد الإسلامي ودخول مناطق العالم ومنها الصين

اسم «المدرسة الحميدية»؛ نسبة إلى الخليفة عبد الحميد الثاني، أو بتعبير السفير الفرنسي في إسطنبول اسم «دار العلوم الحميدية في بكين»، وذلك في تقرير له إلى وزارة خارجيته في باريس.

وقد حضر افتتاح هذه الجامعة آلاف المسلمين الصينيين، وحضره أيضاً مفتي المسلمين في بكين، والكثير من علماء المسلمين هناك. وفي مراسم الافتتاح، أقيمت الخطبة باللغة العربية، ودعا الخطيب للسلطان الخليفة عبد الحميد، وقام مفتي بكين بترجمة الخطبة والدعاء إلى اللغة الصينية؛ وبكى أغلب المسلمين الحاضرين بكاء حاراً بدافع فرحتهم، وأن مسلمي الصين مترابطون فيما بينهم ترابطاً واضحاً برباط الدين المتين، وأن لقاء الخطبة باللغة العربية؛ لغة المسلمين الدينية، ورفع علم الدولة العثمانية على باب هذه المدرسة، قد أثراً تأثيراً بالغاً في هؤلاء الناس طيبى القلوب، وحرك الدموع في أعينهم.

وبجهود الشيخ وانغ كوان والبعثة العثمانية تأسست أول مدرسة نظامية إسلامية للمعلمين في حرم مسجد نيوجيه، بالإضافة إلى ذلك أسست ٤ مدارس أخرى مماثلة في ٤ مناطق في بكين؛ ليكون متاحاً لأبناء المسلمين القريبة مساكنهم منها الالتحاق بها.

وقد عادت البعثة التركية بعد بشهور إلى إسطنبول؛ نتيجة لبعض الأحداث السياسية، لكنها تركت تأثيراً كبيراً خلال الفترة التي قضتها بالصين في أوساط المسلمين الصينيين، ولو قدر لها البقاء لكان لها شأن آخر، وكذلك لو قدر للسلطان البقاء على رأس الخلافة لكان هناك بلا شك بعثات وبعثات، خاصة أن السنوات التي تلت شهدت انتشار المدارس الإسلامية وسط تجمعات المسلمين في مناطق الصين المختلفة، ولو وجد القائمون على هذه المدارس شخصاً كالسلطان عبد الحميد في سدة الحكم لتضاعف عددها وازداد انتشارها وامتد تأثيرها. ■

بداية التقارب العثماني نحو المسلمين في الصين كانت بعهد السلطان عبدالعزیز عام 1873م

كوان إلى الصين عام ١٩٠٦م سالماً غانماً، وعندما التقى المسلمين هناك، قال متأثراً: «بعد أن قمت بزيارة تركيا، عرفت أنه لا سبيل لبقاء الإسلام إلا بالاهتمام بالتعليم».

ومن هنا صمم على تأسيس المدارس الإسلامية، فتعاون مع عدد من المسلمين في تأسيس المدرسة الابتدائية في حرم مسجد نيوجيه، واستقدم بعض الأساتذة الصينيين للتدريس فيها.

البعثة التركية للصين:

وفي سبتمبر ١٩٠٧م، أرسل السلطان العثماني بعثة إلى بكين، تألفت من اثنين من الأساتذة، هما علي رضا، وكان أستاذاً ومفتشاً، وقام بتدريس الحضارة العربية، والآخر حسن حافظ، وعمل مساعداً لزميله السابق.

وقد أسس المبعوثان التركيان مدرسة في نيوجيه، وأقبل المسلمون عليهما، وقد بث هذان الداعيان روح الانضمام إلى الخلافة، ورفعا العلم العثماني، وزارا مناطق تجمعات المسلمين، ونشرا في الصين الجرائد الإسلامية؛ عثمانية أو تركية، ومصرية، وروسية، وبلغارية.

وكان رضا يقوم بتنظيم المدارس الابتدائية للمسلمين الصينيين، كما كان مداوماً على إرسال الرسائل حول نشاط المدرسة إلى دار الخلافة.

وبعد افتتاح المدرسة في بكين؛ خرجت الصحافة في إسطنبول بخبر مفاده أن عدداً من مسلمي الصين متحمسون، يحبون العلم ويرغبون الاستفادة من المعارف الإسلامية، وأن لديهم مؤسسات تعليمية ومدارس، وأن في بكين وحدها ٣٨ مسجداً وجامعاً، يؤدي المسلمون فيها الصلاة، ويدعون فيها لخليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني، وأن خطبة الجمعة في مساجد وجوامع بكين تُقرأ باللغة العربية، ثم تترجم إلى اللغة الصينية، وأن الدعاء للسلطان عبد الحميد بصفته خليفة المسلمين لا يقتصر على بكين فقط، بل يمتد إلى كل مساجد الصين وجوامعها.

وقد تأسست المدرسة في بكين (عاصمة الصين) وأطلق عليها المسلمون الصينيون

المصادر

- ١- السعيد رزق حجاج: المسلمون في الصين في العصر الحديث، مطابع حسان، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٥م، ص ٨٠.
- ٢- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، إستانبول، ١٩٩٩م، نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول.
- ٣- بدر الدين حي الصيني: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء والطباعة، طرابلس، ١٣٩٤هـ، ص ٩٢.
- ٤- توختي أخون أركين: تركستان الشرقية، البلد الإسلامي المنسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١١.
- ٥- محمود يوسف لي خواين: الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار الهلال الأزرق للنشر، هونغ كونج، ٢٠٠٣م، ص ١٢٠.
- 6- Marshal Brom Hall: Islam in China Neglected Problem, London, Morgan and Scoots, 1910, p. 15.

كيف كانت علاقة مسلمي الهند بالخلافة العثمانية؟



مسلمو الهند اعترفوا طوال الوقت بسلطان الدولة العثمانية كخليفة لهم

وسفاراتهم مع السلاطين العثمانيين، وأعقب هذه العلاقات تيبو سلطان ميسور، ونظام حيدر آباد، فقد أرسل كلا الحاكمين سفاراتهما إلى إسطنبول، وحصل على ردود إيجابية من السلاطين العثمانيين.

اعتراف بالخليفة

وقد اعترف مسلمو الهند طوال الوقت بسلطان الدولة العثمانية كخليفة لهم، حيث كانت السلطة الدينية والزمنية للخليفة العثماني مثيرة للاهتمام بما فيه الكفاية، لا سيما كان للعدوان الإمبريالي على الدولة العثمانية عواقب بعيدة المدى، حيث تبنت القوات الإمبريالية جميع الوسائل الممكنة

١٤٨٢م)، ومحمود شاه (١٤٨٢ - ١٥١٨م)، والسلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١م)، وبايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢م)، فقد تبادلوا الرسائل والسفارات الملكية.

لا سيما وجد الحاكم المغولي الهندي أكبر أن عرشه غير آمن، لذلك بدأ بالذهاب إلى أبعد من ذلك في الود تجاه العثمانيين، وكتب رسالة ودية إلى السلطان سليمان القانوني، ولكن مع نمو قوة أكبر، نما لديه موقف معادٍ ضد العثمانيين، فقد رفض الاعتراف بالسلطان كخليفة، كما اتبع جهانجير نفس السياسة، وتبادل الحكام المغول اللاحقون شاهجهان، وأورنجزيب، ومحمد شاه رسائلهم



د. محمد حسن الباشا
أستاذ التاريخ الإسلامي

من أجل التوصل إلى فهم أكثر دقة لعلاقات المسلمين الهنود مع الدولة العثمانية، لا بد من النظر إلى الخريطة السياسية لغرب ووسط آسيا خلال القرون الوسطى، وكذلك في العصر الحديث، حيث كانت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الحكام الهنود والدولة العثمانية ودية للغاية على مدى قرون.

كان البهمنيون أول حكام الهند يقيمون اتصالات دبلوماسية مع العثمانيين، وفي وقت لاحق تبعهم الحكام المسلمون من كجرات، يليها حكام المغول من الهند، ونظام حيدر آباد، وتيبو سلطان ميسور، ونواب من أركوت (مدراس)، وحتى خلال الاحتلال البريطاني للهند كان هناك تبادل ثنائي للبعثات الدبلوماسية بين الهند والدولة العثمانية.

لقد اختلف الموقف الدبلوماسي للدولة العثمانية تجاه الحكام الهنود خاصة الحكام المسلمين، واختلاف العلاقات بين البلدين من حاكم إلى حاكم ومن وقت لآخر، على سبيل المثال: الملوك البهمنية محمد شاه (١٤٦٣ -

مسلمون هنود أعدتهم الجيش البريطاني لرفضهم القتال ضد العثمانيين



الحركات الإسلامية المؤيدة للخليفة العثماني قاومت الاحتلال البريطاني للهند

الحروب التي تعرضت لها الدولة العثمانية وحدت مسلمي الهند صفاً واحداً

أتاتورك ورفاقه يرون أنه إذا أرادت تركيا أن تعيش وأن تجد مكاناً بين الأمم المتحضرة في العالم، فيجب أن تتسلى حلم إحياء الإمبراطورية، وبدأ أتاتورك حرب الاستقلال لتركيا، وشن مقاومة ضد قوات الحلفاء بعد أن تطورت إلى حرب أهلية، حيث ترك القرار الذي اتخذته الأتراك في تحدي القوى الغربية انطباعاً عميقاً على المقاتلين الهنود من أجل الحرية، في ذلك الوقت، أخذت الطبقة المثقفة الهندية اهتماماً كبيراً في التطورات التي كانت تحدث في الدولة العثمانية.

وفي الواقع، كانت حركة الخلافة تمثل رد فعل المسلمين الهنود على نتائج الحرب التي أثرت على تركيا، ونشأت حركة الخلافة عندما أصبح من الواضح أن البريطانيين لا يميلون إلى الوفاء بوعدهم فيما يتعلق بمصير الدولة العثمانية وموقف الخليفة، ولكن مع إلغاء الخلافة العثمانية، فقدت حركة الخلافة في الهند هدفها الرئيس. ■

تمرد فيها الجنود الهنود المسلمون، وهي معركة «كوت العمارة»، حيث رفض الجنود الهنود في الفرقة السادسة الذين أخذوا إلى البصرة لغزو العراق عام ١٩١٦م، وبدلاً من مهاجمة الأتراك بدأ الجنود مهاجمة زملائهم البريطانيين، وهربوا كلما وجدوا الفرصة من أجل الانضمام إلى الجيش العثماني.

وتجدر الإشارة إلى تأثير حرب الاستقلال التركية على حركة الخلافة في الهند، فقد أصبحت الحركات الإسلامية المؤيدة للخليفة العثماني مناهضة لبريطانيا في الهند، كما كان لاندلاع وعواقب الحرب العالمية الأولى دور في حسم مصير الدولة العثمانية، وأصبح من الواضح جداً أن هذه الحرب قد جلبت الدولة العثمانية على حافة الدمار.

وانتهت بهزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى في هدنة مودروس الموقعة في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م، فقد كان مصطفى كمال

لقمع الموجة الثورية.

لم يتقدم المسلمون فقط في الهند، بل الهندوس أيضاً، ودعموا العثمانيين في نضالهم ضد الأوروبيين بكل الطرق والوسائل الممكنة، وكانت حركة القومية الإسلامية تمثل الشعور بالأخوة بين مسلمي العالم، حيث كان لها تأثير هائل على التفكير السياسي للمسلمين الهنود، وتسبب في تغيير واضح في موقفهم تجاه الحكم البريطاني، فقد كان الموقف البريطاني من الأحداث التي شملت الدولة العثمانية، أيقظهم إلى الدوافع الشريرة للإمبريالية البريطانية.

توحيد مسلمي الهند

ولقد تسببت الحروب التي تعرضت لها الدولة العثمانية في توحيد مسلمي الهند صفاً واحداً نتيجة شعورهم بالخطر المحدق بمستقبل الدولة العثمانية، وعلاوة على ذلك فإن مواطني الهند من الهندوس، الذين لم يكن في نيتهم المكوث طويلاً تحت ربة الاستعمار البريطاني، كانوا يقفون في صف الدولة العثمانية، والتسويق والوعي اللذان نشأ ما بين مسلمي الهند أثناء تلك الحرب شكلا البنية التحتية لنشوء تعاون أكثر فعالية وتنظيماً لدعم الدولة العثمانية أثناء نشوب الحرب العالمية الأولى.

وفي يوم ١٥ فبراير ١٩١٥م ثار ٨٥٠ مسلماً هندياً (جندياً سيبويماً) ضد القادة البريطانيين؛ مما أسفر عن مقتل ٤٠ ضابطاً بريطانياً والاستيلاء على أسلحتهم وذخائرهم، استمرت الانتفاضة نحو ٧ أيام، إذ انقسم المنتفضون إلى ٣ مجموعات ولم ينجحوا بالسيطرة على الحصون والترسانات وحسب، بل أطلقوا سراح سجناء ألمان نمساويين محتجزين في السجون ومعسكرات الاعتقال البريطانية.

كما تجدر الإشارة إلى أن حادثة أخرى



الخلافة.. والمنجزات الحضارية للأمة

مستشفى ابن طولون به خزانة كتب تحوي 100 ألف مجلد!

أمة الإسلام دفعت أثمان ضياع الخلافة من حريتها وكرامتها



د. حمدي شاهين
أستاذ الحضارة والتاريخ الإسلامي

قدمت دولة الخلافة الإسلامية نموذجاً للتشارك بين الحكومة والشعب في تحقيق مقاصد الإسلام وآمال الأمة، فأفسحت المجال أمام المشاركة الشعبية؛ فكان التعليم يجري أولاً في الكتاتيب والمساجد، وهي مؤسسات شعبية، وأقامت الحكومة في مراحل تالية المدارس الكبرى والجامعات، وكانت الدولة تعين القضاة وتمنحهم مرتباتهم المالية، وتيسر لهم أداء أعمالهم، وتوظف لهم من يعينهم على أدائها، وتتفقد أحكامهم، لكن الفقهاء هم من كانوا يضعون التشريعات دون تدخل من الحكومة، وكثير من المرابطين في الثغور كانوا متطوعين، لكن أمر الجيوش المنظمة وتسليحها ومرتبات رجالها كان من اختصاص الحكومة.

وكان خلفاء الإسلام الأولون علماء حكماء، وظل كثيرون منهم فيما بعد يحرصون على طلب العلم، ويوفرون ذلك لأبنائهم ممن سيلون الخلافة، ويقدمون لهم القدوة في احترام العلم وأهله، وفي كل عصر من عصور الخلافة يمكن إيراد جملة من الأمراء والخلفاء اشتهروا بالعلم والسياسة معاً، مثل الخلفاء الراشدين جميعاً، وجل خلفاء بني أمية، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، وكثير من الخلفاء العباسيين الكبار، منهم أبو جعفر المنصور، والمهدي، وهارون الرشيد، والمأمون، وكثير من أمراء المرابطين والموحدين، وأمراء الأندلس، والقافلة تمتد لتضم جماعة من العثمانيين منهم محمد الفاتح، وسليمان القانوني، وآخرهم السلطان عبدالحميد.

المدارس النظامية

وكانت مجالس الخلفاء والأمراء تغصُّ بالعلماء من كل صوب وفن، وتقدم لهم التسهيلات

والجوائز، وبرز دور الدولة في بناء المؤسسات التعليمية الكبرى، فظهرت المدارس النظامية على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (ت ٤٨٥هـ)، وبُنيت الجامعة المستنصرية، والمدرسة النورية، والجامع الأزهر، والعديد من مساجد قرطبة وإسطنبول وغيرها.

قال ابن كثير، في حوادث عام ٦٣١هـ: «فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يُنْ مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة، من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية واهرة لكل واحد»، إلى أن قال: «ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها، وجودة الكتب الموقوفة بها».

وانتشرت المؤسسات الأهلية كالمساجد



قرطبة كانت تنار بالمصابيح ويستضاء بنورها 10 أميال!

قوداً جميلاً، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمصر: بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل، ونهى، كذلك، في إحدى رسائله إلى الولاة الناس عن ركض الفرس في غير حق، وكتب إلى صاحب السكك ألا يسمحوا لأحد بالجام دابته بلجام ثقيل، أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة.

وكان من وظيفة المحتسب أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق، أو تعذيبها وضربها أثناء السير، فمن رآه يفعل ذلك أدبه وعاقبه. وكانت النفقة على الحيوان واجبة على مالكة، فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل.

ورصدت أوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقاف لرعي الحيوانات المسنة العاجزة! كان هذا يحدث في دولة الخلافة، في حين كانت أوروبا العصور الوسطى تتهم بعض القبط بالسحر، وتأمّر بحرقها، وتعتقد محاكمة للفئران المزعجة، ومحاكمة أخرى للديك الذي باض، ثم يحكم فيها بإعدامه على نحو ما فصل د. مصطفى السباعي في كتابه القيم «من روائع حضارتنا».

نعم، ذهبت الخلافة وروبقها، وجنت الأمة كلها ثمار جهل وغباوة ونزق، ثم راحت تدفع أثمان ذلك من حريتها ومكانتها، وكرامة رجالها ونسائها، وقوت أولادها. ■

مليونى كتاب، بينما ضمت مكتبة بني عمار بطرابلس مليوناً.

ثم كانت جناية أعداء الإسلام على المكتبات على نحو ما هو مشهور في شأن المغول لما دمروا مكتبات العراق، ورموا الكتب في نهر دجلة حتى تغير لون المياه من مدادها، وما فعله نصارى الإسبان بالمكتبات الزاخرة التي ضمت علوم الدنيا في الأندلس بعد سيطرتهم عليها.

وبينما كانت الأوضاع مزرية في المدن الأوروبية الضحلة والقدرة في العصور الوسطى، نجد قرطبة -عاصمة الأندلس في عهد عبدالرحمن الثالث- تنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بنورها عشرة أميال لا ينقطع عنه الضوء! أزقتها مبلطة، وقماماتها مرفوعة من الشوارع، ومحاطة بالحدائق الغناء حتى كان القادم إليها يتنزه ساعات في الرياض والبساتين قبل أن يصل إليها، وكان سكانها أكثر من مليون نسمة، في ذلك العصر الذي لم تكن فيه أكبر مدينة في أوروبا تزيد على خمسة وعشرين ألفاً، وكان فيها ٨٠ مدرسة يتعلم فيها الفقراء مجاناً، و٥٠ مستشفى، وأما مسجدها فكانت ولا تزال آثاره حتى اليوم آية خالدة في الفن والإبداع، وقل مثل ذلك عن بغداد حاضرة العباسيين، وأعظم مدن العالم آنذاك قاطبة.

رعاية الحيوان وامتدت رعاية دولة الخلافة لتشمل الحيوان، فقد ضرب الخليفة عمر بن الخطاب جماً لأنه حمل جملة ما لا يطيق، ورأى رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال له: ويلك! قدها إلى الموت

والكتاتيب حتى عدّ ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) ٣٠٠ كتاب في مدينة واحدة من إمارة صقلية، وكان التعليم في مجمله عملاً أهلياً، مجاناً متاحاً للجميع، وتكفلت الأوقاف الإسلامية الضخمة بالإنفاق على التعليم عامة، فكانت في دمشق وحدها ٤٠٠ مدرسة في العصر المملوكي، تتنوع بين مدارس شرعية وعملية، وكل مدرسة تحتوي على مسجد، وقاعات للدراسة، وغرف لنوم الطلاب، ومكتبة، ومطبخ وحمام، وبعضها يحتوي على ملاعب للرياضة.

أما المشافي، فلم تقل العناية بها عن المدارس والجامعات، ففي عهد الوليد بن عبدالملك أنشئ أول مستشفى في الإسلام خاصة بالمجنومين، وأجريت لهم الأرزاق، ولم تخل بلدة صغيرة يومئذ من مستشفى فاكث، حتى إن قرطبة وحدها كان فيها ٥٠ مستشفى، وفي كثير من تلك المستشفيات وجدت قاعات طبية وأقسام متخصصة، ولكل قسم أطباء، عليهم رئيس، فبعضها للأمراض الباطنية، وبعضها للجراحين والمجبرين، وبعضها لأطباء العيون، أو الكحالين، وفي كل مستشفى عدد من الفراشين والممرضين والمساعدين، ولهم رواتب معلومة وافرة، وفي كل مستشفى صيدلية. وكان يلحق بكل مستشفى مكتبة عامرة بكتب الطب وغيرها مما يحتاجه الأطباء وتلاميذهم، حتى قالوا: إنه كان في مستشفى ابن طولون بالقاهرة خزانة كتب تحتوي على ما يزيد على ١٠٠ ألف مجلد في سائر العلوم، وأوقف عليه ما يدر عليه ألف درهم في كل سنة، وألحق به مسجد ومدرسة ومكتب للأيتام، ولا يخرج منه كل من يبرأ من مرض حتى يُعطى كسوة للباسه، ودراهم لنفقاته، حتى لا يضطر للالتجاء إلى العمل الشاق فور خروجه، بل امتدت الرعاية الصحية لتشمل السجون، فكانت ثمة المشافي ومراكز الإسعاف.

كانت تلكم الحال في دولة الخلافة، بينما يروي المؤرخون قصصاً مثيرة للأسى والشفقة عن حال الطب لدى معاصريهم من الصليبيين والأوروبيين.

واشتد ولع الحكام والأدباء والعلماء بالكتب، فكانت هناك مكتبات خاصة وعامة، وفي المكتبات العامة غرف مكتبية متخصصة، منها قاعات مطالعة، وغرف لحلقات الدرس، وغرف للنسخ والتجليد والموسيقى، وأخرى للطعام، والنوم، وبها موظفون متخصصون، منهم أمناء المكتبة، و مترجمون، ومفهرسون، وخصصت الأوقاف اللازمة للإنفاق لذلك كله.

وقد ضمت مكتبة الفاطميين بالقاهرة

سقوط الخلافة العثمانية

في مرآة السينما والدراما العربية والعالمية



لا توجد دولة عظيمة تعرّضت لتشويه وتزييف متعمدين، وبتخطيط مستمر لما يقارب القرنين من الزمان، مثل دولة الخلافة العثمانية، ذات التاريخ الممتد لأكثر من ٦٠٠ عام (١٢٩٩ - ١٩٢٤م)، فقد بدأ التشويه في أدبيات السياسة الأوروبية بإطلاق مفهوم «المسألة الشرقية»، أو بالأدق «رجل أوروبا المريض»، في إشارة إلى تقرب القوى الاستعمارية الغربية وسعيها لإسقاط هذه الإمبراطورية الضخمة، التي كانت رمزاً لوحدة المسلمين، وظهراً حامياً لشعوبهم، وتمثّل النموذج القائد لأقطاره وأقاليمه الممتدة؛ لما لها من نفوذ روحي، يعود إلى مكانة السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين.

ذلك اللقب الذي ناله السلطان سليم الأول (٨٧٥ - ٩٢٦هـ / ١٤٧٠ - ١٥٢٠م)، بعدما نجح في هزيمة طومان باي في معركة «الريدانية» عام ١٥١٦م، وأسقط دولة المماليك، وقد تنازل له محمد بن يعقوب المتوكل على الله، آخر الخلفاء العباسيين، الذي كان يقيم بالقاهرة في ظل حكم المماليك، عن لقب الخلافة وشاراتها، لتصبح الدولة العثمانية دولة الخلافة رسمياً.

”د. مصطفى عطية جمعة

لقد تمحورت دعاوى الاستعمار الغربي ضد الدولة العثمانية بأنها سبب نكبة المسلمين وتأخرهم، وأنهم فرضوا على المسلمين العزلة والتخلف والجهل، وأذابوا شعوب المسلمين في هويتهم التركية ولغتهم، والحقيقة أن كل هذا يخالف التاريخ، فجّل سلاطين العثمانيين أجادوا اللغة العربية والفارسية واللاتينية، وكانت التركية نفسها تُكتب بأحرف عربية، وغالبية مفرداتها مأخوذة من القاموس العربي المسلم.

كان الهدف من هذه الدعوات جلياً، ألا وهو تفكيك هذه الإمبراطورية، وتحويلها إلى أقطار ودول صغيرة، والسيطرة على أراضيها، بشعارات من مثل: القومية العربية، وتحرير الشعوب، والانتماء للهوية القطرية، وتعزيز الانتماء لحدودها، وهو ما تحقق في اتفاقية «سايسكو بيكو» (١٩١٦م)، وتم تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين فرنسا وبريطانيا، بتوافق مع روسيا القيصرية وقتئذ، وتواطؤ دولي.

وللأسف، خُدعت الشعوب العربية بشعارات

عكاشة -في ثيايا الحوار- آراء ضد الخلافة العثمانية، وتحديدًا السلطان سليم الأول، الذي جمع الفنانين والصنّاع المصريين المهرة، وأرسلهم إلى الآستانة، للعمل في بناء عمارتها، وتجاهل المؤلف أنهم عادوا إلى القاهرة ثانية، بعد سنوات عديدة، والشاهد هنا أن المسلسل يروّج إلى أن الدولة العثمانية غيّبت الهوية القطرية المصرية وسرقت مبدعيها.

التحرر، وأن سبب تأخر العالم الإسلامي يعود للدولة العثمانية، وللخلافة تحديداً، والبعض أعلنها صريحة أن السبب هو الإسلام نفسه، وهو ما نادت به النخب العربية العلمانية والمتغربة، ولا تزال ليومنا.

وينهض المسلسل المصري «أرابيسك» (١٩٩٤م) ليكون خير دليل على حملة التشويه ضد الدولة العثمانية، فقد بثّ مؤلفه أسامة أنور

لورنس العرب

أما السينما العالمية فكانت حاضرة أيضاً في حملة التشويه، ويعد فيلم «لورنس العرب» (١٩٦٢م) أحد أشهر الأفلام السينمائية التي تناولت الرؤية الغربية لدولة الخلافة العثمانية، وقد اقتبست قصة الفيلم من الكتاب الشهير «أعمدة الحكمة السبعة» لمؤلفه الجاسوس البريطاني توماس إدوارد لورنس.

كان هذا الفيلم نقطة الانطلاق للعالمية للممثلين بيتر أوتول، وعمر الشريف، حيث تناولت أحداثه تفكيك الدولة العثمانية ودور أمير مكة المكرمة في إشعال ما يسمى «الثورة العربية الكبرى»، في يونيو ١٩١٦م، بعودة من السياسي البريطاني، المقيم في القاهرة، هنري مكماهون، الذي بعث برسالة تحريضية إلى الشريف الحسين بن علي، جاء فيها: «إن جلالته ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة»، وقد حُذِر الحسين، وصدّق وثار، ثم مات شريداً طريداً!

وكما يقال، فإن الكذب لا أرجل له، وإن طالبت مدته، فقد حدث انقلاب فكري في الدراما العربية بشكل عام، فظهرت أعمال عمدت إلى تقديم الرواية الحقيقية لدولة الخلافة، وتنفيذ سردية سقوطها المزيفة، ويأتي مسلسل «سقوط الخلافة»، ليكون في باكورة الدراما العربية، التي تناولت بشكل مفصل هذه القضية، وهو من تأليف السيناريست المصري يسري الجندي، وأخرجه الأردني محمد عزيزية، ومن بطولة الفنان السوري عباس النوري، ومعه عدد كبير من الفنانين العرب، وقد جرى تصوير المسلسل في القاهرة وسورية وتركيا، وعُرض

في رمضان عام ٢٠١٠م.

وفي عدد من الأحاديث الصحفية، ذكر المخرج أن هذا المسلسل محاولة للاعتذار عن الزيف التاريخي الذي لحق بصورة السلطان العثمانيين، وتبيان المؤامرات التي حاكتها القوى الغربية لإسقاطها، وعندما نشاهد أحداث المسلسل، نجد أن بداية التآمر الفعلي كان في عهد السلطان عبدالعزیز الأول (١٨٣٠ - ١٨٧٦م)، الذي نجح بشكل كبير في إيقاف التدهور المالي في الدولة، وعزز هيمنتها العسكرية على أقطارها، واسترد هيبتها، فكان أن انقلب عليه الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، ومعه عدد من الشخصيات اليهودية والماسونية، قبل أن ينتقل الحكم إلى ابن أخيه السلطان عبدالحميد الثاني، الذي واجه بقوة مخططات الماسون، وقد تكالب ضده أعضاء «جماعة الاتحاد والترقي»، متضامنين مع «يهود الدونمة».

لقد توافر تمويل سخّي لهذا المسلسل؛ مما جعله يخرج في أبهى حلة، على مستوى الملابس والديكورات والتصوير، بجانب السرد الدرامي المفصل للصراعات في القصور، والمخططات في العواصم الغربية، التي استخدمت اليهود والماسونيين، والنخبة الفكرية المتغربة، وقد تعرّف المشاهد العربي لأول مرة على حقيقة ما جرى، بعيداً عن الروايات التي نشرها القوميون العرب والطورانيون الأتراك، التي تصوّر سقوط الخلافة بأنه إنجاز عظيم، وأن العرب نالوا حريتهم بعدها، وكأن المشكلة فيما أسموه الاحتلال التركي، وليس في الاحتلال الأوروبي.

بل إن مفهوم «الاحتلال التركي» الذي شاع في الدراسات التاريخية العربية ناتج عن مفاهيم القومية العربية، التي امتاحت أفكارها من الفكر

القومي الغربي، غير واعين إلى أن رسالة الخلافة العثمانية التي ترددت على ألسنة السلاطين -في هذا المسلسل- تقتصر للإسلام، وللشعوب المسلمة، وتحمي الأقليات غير المسلمة، دون أدنى تمييز على أساس عرقي أو لغوي أو جهوي، وأن الصراع لم يكن مع الدولة العثمانية التي حمت قلب العالم الإسلامي وأهم أقاليمه حتى سقوطها، بل إن فلسطين ضاعت بعدما سقطت الخلافة، وتفككت أرضها إلى دويلات، ولقد نجح هذا المسلسل، وللمرة الأولى في إثارة السؤال عن الدور التاريخي الحيوي الذي قامت به الخلافة العثمانية، وأدركت الأجيال العربية الجديدة الرواية المضادة، لما درسته في المناهج المدرسية.

السلطان عبدالحميد

وتعمّقت الحقيقة أكثر مع المسلسل التركي الضخم، وعنوانه «السلطان عبدالحميد»، الذي جاء في ٥ أجزاء، خلال الأعوام (٢٠١٧ - ٢٠٢١م)، بإجمالي حلقات ١٥٧ حلقة، وهو من تأليف عثمان بودور، وأوغور يوزونوك، ومن إخراج سردار أكار، وتمت دبلجته إلى العربية، واصطف الملايين خلف الشاشات في مواسم سنوية متتالية، يرون مظاهر قوة الدولة العثمانية، وفخامة العمارة الإسلامية، وشخصية عبدالحميد، وهو السلطان العثماني الرابع والثلاثون، ويعدّه المؤرخون المسلمون الخليفة رقم (١١٣)، وهو ابن السلطان عبدالحميد، وُلِدَ في ٢٢ سبتمبر ١٨٤٢م، وتوفي في ١٠ فبراير ١٩١٨م.

وقد كانت الدولة تمر بأزمات عاصفة ومصاعب مالية جمة، واشتعلت ثورات عاتية في البلقان، من قبل عناصر قومية توثّبت لتحقيق استقلالها، وازدادت سرعة انتشار الأفكار الانفصالية، وأصبح للوطنية معنى قُطري



**الشعوب العربية خُذت
بشعارات التحرر وأن سبب
تأخر العالم الإسلامي يعود
للدولة العثمانية!**

**«أرابيسك» يروج إلى أن
الدولة العثمانية غيّبت الهوية
القُطرية المصرية وسرقت
مبدعيها**

«سقوط الخلافة» قَدَّمَ رواية حقيقية لدولة الخلافة وفنّد سرديّة سقوطها المزيفة

السلطان عبدالحميد امتلك رؤية إصلاحية نهضوية وصاغ مشروعاً فكرياً جامعاً للأمة

الدراما العربية والتركية أعادت تشكيل الوعي المعاصر ليدرك الرواية الصحيحة عن الخلافة



السلطان عبدالحميد عن فلسطين، التي ردها أمام الوفد اليهودي، قائلاً: «انصحوا هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، ولقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً، فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن.. ولكن التقسيم لن يتم إلا على أجسادنا» ■

في الشام، مع المدينة المنورة، وأذاع السلطان بياناً لعامة المسلمين، يناشدهم فيه بالتبرع، فشكّلت التبرعات ثلث تكاليف المشروع، الذي تم الانتهاء منه في أغسطس ١٩٠٨م عندما وصل أول قطار إلى المدينة المنورة.

لقد استطاعت الدراما العربية والتركية أن تعيد تشكيل الوعي العربي والمسلم المعاصر، ليدرك الرواية التاريخية الصحيحة، عن حقيقة الخلافة وما قامت به نحو قضايا الأمة، ولا تزال ذاكرة المشاهدين للدراما تستحضر مقولة

انفصالي، وأخذت فكرتها تنمو وتمتد في الولايات العثمانية.

وشاهدنا كيف امتلك السلطان عبدالحميد رؤية إصلاحية نهضوية شاملة، وصاغ مشروعاً فكرياً جامعاً للأمة، عنوانه «الجامعة الإسلامية»، في مواجهة التغريب الثقافي، ولدحض طروحات القوميات والوطنيات المحلية، وتعزيز فهم الإسلام بوصفه أيديولوجيا ومرجعية إنسانية ودينية وقيمية.

وتركّز السردية الدرامية في هذا المسلسل على آخر ١٣ عاماً من حكم السلطان عبدالحميد، الذي استمر حكمه مدة ٣٣ عاماً، حتى خُلِعَ بانتفاضة في أبريل ١٩٠٩م، ثم وضع تحت الإقامة الجبرية في قصر «ألاتيني» بمدينة سالونيك مدة ٣ أعوام، ونقل لاحقاً إلى قصر «بيلاربي» بإسطنبول في عام ١٩١٢م، ثم توفي بعد ٦ أعوام في ١٠ فبراير ١٩١٨م، ودُفِنَ في ضريح جده السلطان محمود الثاني بمنطقة «تشمبرلي طاش» بإسطنبول.

أدرك السلطان عبدالحميد طبيعة المؤامرات ضد الدولة، وكان شاهداً عن كُتُبٍ لخلع عمه عبدالعزيز عن العرش، ثم سجن أخيه غير الشقيق السلطان مراد الخامس في قصر «تشيلاغان»، ومعلوم أن أخاه جاء للحكم نتيجة مؤامرة؛ شاركت فيها أطراف خارجية وداخلية.

ومن حلقات هذا المسلسل نتلقى معلومات عديدة عن جهود السلطان عبدالحميد عقب توليه السلطة، فأصدر أول دستور عثماني «القانون الأساسي»، في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦م، ثم عمد إلى النهوض بالزراعة، وتحديث الصناعة، وتنشيط التجارة، وإصلاح القضاء، والاهتمام بالتعليم المدني والعسكري والفني، والسلك الصحي، والمواصلات الحديدية والبحرية والبرقية والبريدية، بجانب الإصلاحات العسكرية عقب التقارب العثماني - الألماني، فاستقدم جنرالات ألمان لتدريب الجيش العثماني، وأرسل بعثات عسكرية، واستقدم أسلحة حديثة.

وكانت عينا مصوبتين نحو أقاليم الدولة المسلمة، بإنشاء قطار الشرق السريع (١٨٨٨م)، ثم سعى لمد شبكة من الخطوط الحديدية بهدف ربط أجزاء الدولة المترامية والاستفادة منها عسكرياً، حتى إن طول الخطوط الحديدية في عهده بلغ ٥٨٨٣ كيلومتراً، وكان أهم إنجاز له «سكة حديد الحجاز» التي ربطت مدينة دمشق

رمضان.. شهر الجهاد والعطاء



د. يوسف السند

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالكويت

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).

ويستمر دعم المجاهدين بالنفس والمال والعدة والعتاد والسلاح؛ «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُداً عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١١١)، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إِنَّ اللَّهَ ابْتِاعَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَعُداً عَلَيْهِ حَقّاً؛ يقول: وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعداً عليه حقاً أَنْ يُوَفَّى لَهُمْ بِهِ، فِي كِتَابِهِ الْمُنْزَلَةِ: التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، إِذَا هُمْ وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ، فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ وَنَصَرُوا دِينَهُ أَعْدَاءَهُ، فَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا^(٢).

والآن بعد أيام حاسمة حازمة من الجهد والجهاد والقتال والرباط يجب أن يكون الجهاد المالي سيد الموقف بكل ما تجود به أنفسنا وتسمح به ظروفنا وتتنوع له طاقتنا؛ «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (التوبة: ٤١)؛ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسولته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: جاهدوا، أيها المؤمنون، الكفار بأموالكم، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم، حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً، أو يعطوكم الجزية عن يدٍ صغاراً، إن كانوا أهل كتاب، أو تقتلوه^(٣).

فجهز مالك وخطط ميزانيتك، فالجمعيات الخيرية بمختلف مسمياتها قد أعدت مشاريع متنوعة لإعمار غزة ولإنقاذ الإنسان في غزة، والروابط

بعد «طوفان الأقصى» نحتاج إلى طوفان العطاء والسخاء، وبعد الانتصار نحتاج إلى الإعمار، نحتاج من يخلف أسر الشهداء بخير، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»^(٤).

لقد كثرت اليتامى، فإننا نحتاج التنافس في كفالة اليتيم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعيه السَّبَابِغَةِ وَالْوُسْطَى^(٥).

وكثرت الأرمال، فأين من يحتسب أجر السعي على الأرملة؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٦)، وقال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»^(٧).

لقد عظم الحصار وزاد الجوع وعم الجوع، والحاجة إلى الطعام تزداد يوماً بعد يوم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَوَرَّثُوا الْجَنَّةَ»^(٨)، وقال: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»^(٩)، وقال: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ،

الإلكترونية أصبحت في متناول الجميع سهلة ميسورة فانظر ما يطمئن قلبك، واحتسبها جهاداً مالياً لإخوانك المسلمين في غزة وعموم فلسطين؛ «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»^(١٠) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (آل عمران).

ألا فليحركنا إيماننا نحو إخواننا، ولتلهنا مشاعرنا وضميرنا وإنسانيتنا. انظر ماذا دون هذا الإنسان: «أطفال هزِيلون مضجرون، أجسادهم تتطاير ممزقة، عظامهم مكشوفة مهشمة، ملقون على الأرض غير المعقمة، لا مورفين ولا أدوية ولا شاش حتى، يصارع الأطباء الموت بلا جدوى، هي الفوضى الشاملة، عملت في ٤٠ دولة في إطار نشاطي الإنساني وما رأيته بغزة الأبدع إطلاقاً، وأرجو ألا أرى مثيله مجدداً»^(١١).

والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. ■

الهوامش

- (١) صحيح البخاري.
- (٢) صحيح البخاري.
- (٣) صحيح الجامع.
- (٤) صحيح البخاري.
- (٥) حديث حسن.
- (٦) حديث صحيح.
- (٧) صحيح لغيره.
- (٨) تفسير الطبري.
- (٩) تفسير الطبري.
- (١٠) شهادة مرعبة من الجراح الكندي العائد من غزة د. ياسر خان.

فزاعة «الإرهاب».. الطريق إلى احتلال السودان

د. خالد محمد علي
كاتب ومحلل سياسي

قتل الأمريكيون حملة السلاح ١٧٦٨ أمريكياً منذ بداية العام الجاري وحتى ٨ فبراير، وفقاً لإحصاءات أرشيف العنف المسلح بأمريكا، الذي أفاد أيضاً أن كل عام يتجاوز حاجز ٢٠ ألف قتيل أمريكي بأيدي أمريكيين، وشهد عام ٢٠٢٣ وحده ٦٥٦ حادث إطلاق نار جماعي في جميع أنحاء الولايات المتحدة، بينما يعد على أصابع اليد الواحدة عدد الأمريكيين الذين قتلوا طوال السنوات العشر الأخيرة في الشرق الأوسط، ومع ذلك تنتج آلة الإعلام الأمريكية آلاف المقالات والأخبار والتقارير حول «العنف الإسلامي»، و«الإرهاب الإسلامي»، و«الحركات الإسلامية الإرهابية»!

ولم يتوقف استهداف المسلمين والعرب عند الإعلام، ولكنه بلغ ذروته في تصريحات الرئيس الأمريكي السابق «دونالد ترمب»، الذي قال: علينا مواجهة أو القضاء على «الإرهاب الإسلامي»، وتبعه الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الذي استخدم التعبير نفسه، في إشارة إلى أن المؤسسات الأمريكية والأوروبية تتفق على إنتاج وتوظيف مصطلح الإرهاب لوضع جميع دول المنطقة تحت الفزاعة التي تجعلهم يسلّمون للمطالب الأمريكية؛ خوفاً من بطش القوة القاهرة التي اتخذت أكثر صورها دموية في مشهد تدمير غزة، وإبادة شعبها.

صراع دموي

وفي السودان، تندلع منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣ أعمال عنف دموية، تقوم بها جماعات التمرد من «قوات الدعم السريع»، وهي مدعومة بفزاعة الإرهاب التي أنتجتها الإدارة الأمريكية، ويتبناها تابعوها في كل أنحاء العالم، حيث يزعم قائد «الدعم السريع» محمد حمدان دقلو (حميدتي)، وحاضنته السياسة «الحرية والتغيير» تقدم، بزعامة عبدالله حمدوك، أنهم يطاردون فلول



الإرهاب، وقد اعترفت مؤخراً رشا عوض، الناطق الرسمي باسم تنسيقية القوى الديمقراطية المدنية (تقدم)، في مقابلة تلفزيونية لقناة «الجزيرة مباشر»، بتلقي الحركة التي يترأسها حمدوك، رئيس الوزراء السوداني السابق، دعماً مالياً من منظمته «الشريكان الدوليان للحكومة» الكندية، و«المعهد القومي للسلام»، التابع للحزب الجمهوري الأمريكي.

وكانت حكومة الثورة التي تشكلت عقب إسقاط البشير تتلقى جميع رواتبها ومصرفاتها من الاتحاد الأوروبي، عبر برنامج لدعم الديمقراطية في أفريقيا، ولم يتم هذا بشكل سري، ولكنه كان معلناً، حيث حددت وثيقة الاتحاد أن هناك ١٢ موظفاً بمكتب حمدوك أيضاً كانوا يتلقون رواتبهم بشكل مباشر من خارج وزارة المالية السودانية.

نظام عمر البشير من الإسلاميين، الذين يطلقون عليهم «الكيزان»، وأن الحرب الدائرة الآن هي لطرد «الكيزان» من الهيكل القيادي للجيش، وجميع مؤسسات الدولة، فيما يسمى بـ«محااربة التمكين».

ونجح منتجو فزاعة الإرهاب في تحويل الشعار إلى استثمار داخلي لعدد كبير من الدول العربية على رأسها السودان، حيث تشكل من التيارات اليسارية، والعلمانية، ونشطاء حقوق الإنسان، ومجموعات سياسية تقوم بالدور الرئيس في الترويج الإعلامي والسياسي لفزاعة

**تيارات يسارية وعلمانية
ونشطاء حقوق الإنسان
يقومون بالترويج الإعلامي
والسياسي لفزاعة «الإرهاب»**



الحرب المستعرة بين الجيش و«الدعم السريع» شكلت أخطاراً جسيمة على وحدة السودان وتركيبته السكانية

لعنة فزاعة «الإرهاب» أصابت السودان بإزهاق الأرواح وتدمير المؤسسات ونزوح الملايين خارج مدنها

٥- في عام ٢٠٠٦م، أصدر الكونجرس عقوبات أمريكية ضد مسؤولين سودانيين على رأسهم الرئيس البشير، ووزير دفاعه عبدالرحيم محمد حسين، ووزير داخلته أحمد هارون، وقيادي بمليشيا «الجنجويد» علي كشيبي، وحمل الكونجرس هؤلاء المسؤولية عن جرائم إبادة جماعية مزعومة ضد القبائل الأفريقية في إقليم دارفور الذي اندلع به نزاع مسلح بين العرب والأفارقة في عام ٢٠٠٣م.

والعجيب أن الغرب وأمريكا يساندون اليوم تلك القبائل المتهمة بارتكاب جرائم حرب التي يتزعمها حميدتي في نزاعها مع الجيش السوداني، ويبدو أنهم كانوا مجرمين وإرهابيين عندما كانوا خارج السيطرة، وعادوا مدافعين عن الديمقراطية وحراساً لها عندما عادوا يتحركون في الفلك الأمريكي تحت راية مكافحة الإرهاب! وهكذا أصابت لعنة فزاعة «الإرهاب» في السودان شعبه في أمنه؛ حيث تزهق الأرواح بشكل يومي، وتدمر المؤسسات المدنية والاقتصادية، وينزح ملايين السكان خارج مدنها، ويتحول أكبر مخزون اقتصادي أفريقي إلى حالة من الخوف والقتل والدمار لم يسبق لها مثيل! ■

السودان، وأوقفت عمل سفارتها في العاصمة الخرطوم، في عام ١٩٩٦م؛ وهو ما شكّل عزلاً سياسياً للسودان بين الدول الأوروبية.

٣- أحكمت واشنطن حصارها على السودان في عام ١٩٩٧م عندما فرضت عليه عقوبات اقتصادية مشددة؛ حيث قرر الرئيس الأمريكي الأسبق «بيل كلينتون» تجميد الأصول المالية للسودان، ومنع تصدير التكنولوجيا الأمريكية له، وحظر الاستثمار أو التعاون الاقتصادي معه، ولعل أخطر ما في هذا القرار هو اتباع الدول الأوروبية لواشنطن خاصة بعد إخراج البنوك السودانية من النظام المالي العالمي.

٤- في أغسطس ١٩٩٨م، ضربت الولايات المتحدة الأمريكية بالصواريخ مصنع الشفاء للأدوية بالعاصمة الخرطوم بزعم أن المصنع كان لإنتاج أسلحة كيميائية، على الرغم من أن المصنع كانت لديه تعاقدات مع الأمم المتحدة ومنظماتها الصحية لتوريد المضادات الحيوية للأمراض المستوطنة في الدول الأفريقية، وللأسف فإن هذه الضربة كانت باكورة التعاون مع جماعات سودانية محلية معارضة مع الولايات المتحدة لتنفيذ عمل عسكري ضد البلاد.

وبالرغم من ارتكاب «الدعم السريع» جرائم حرب في كل المناطق التي احتلتها، وخاصة في ولاية غرب دارفور التي أفادت تقارير منظمات الأمم المتحدة أن «الدعم السريع» قامت بقتل ١٥ ألف من قبيلة المساليت وحدها، فإن رعاة «الدعم السريع» الدوليين لم يتوقفوا كثيراً أمام تلك الجرائم، ولا تزال الاتصالات مستمرة بقيادات هذه القوات في محاولة مكشوفة لإصباح الشرعية على تصرفاتها داخل السودان، خاصة بعد نجاحها في السيطرة على أربع من ولايات دارفور الخمس، وأجزاء كبيرة من ولايات كردفان بالجنوب، وولاية الجزيرة الأهم والاكثر اقتصادياً بالسودان، واحتلال العاصمة السياسية الخرطوم، واستمرار السيطرة عليها منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣م حتى الآن، وقد تمت كل هذه العمليات بسبب استمرار تدفقات الأسلحة الحديثة والأموال على تلك القوات.

وقد شكلت تلك الحرب أخطاراً جسيمة على وحدة السودان، وعلى تركيبته السكانية، ليس لأن هناك جماعات إرهابية مسلحة تهدد المصالح الأمريكية والغربية بالبلاد، ولكن لأن هناك حالة رفض للهجمات الاقتصادية على ثروات السودان، حيث تتصارع الدول الكبرى من أمريكا، وأوروبا، والصين، وروسيا، لابتلاع مناجم الذهب، واليورانيوم، والنحاس، في غرب وشمال السودان، إضافة إلى ثروته الزراعية والحيوانية التي تشكل رابع أكبر مخزون للغذاء في العالم، وفقاً لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة.

استهداف مستمر

ويعد استخدام فزاعة «الإرهاب» في السودان أحد الميادين الكبرى التي أنتج فيها هذا الشعار خراباً مستمراً منذ تسعينيات القرن الماضي وحتى الآن، حيث تم إخضاع البلاد لعشرات العقوبات تحت مزاعم مكافحة النظام الإسلامي الإرهابي في السودان الذي كان يقوده الثنائي حسن الترابي، وعمر البشير، ويمكن الإشارة إلى تلك العقوبات في الآتي:

١- أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية السودان على لائحة الدول الراعية للإرهاب في ١٢ أغسطس ١٩٩٣م؛ وهو ما حرم السودان من الحصول على أي مساعدات أجنبية، ومنع حصوله على السلاح وكل ما يتعلق به.

٢- قطعت أمريكا علاقتها الدبلوماسية مع

الرئيس سال الموالى لفرنسا ألغى الانتخابات التي كانت مقررة في 25 فبراير دون سبب محدد



بسبب إلغاء الانتخابات والرئيس الموالى لفرنسا..

هل تشهد السنغال أول انقلاب في تاريخها؟

محمد جمال عرفة

كاتب ومحلل سياسي

يعد إلغاء الانتخابات الرئاسية المرة الأولى في تاريخ السنغال منذ عام ١٩٦٣م، وهو العام الذي شهد بداية التعددية السياسية والانتقال السلمي للسلطة واحترام الدستور ومواعيد الانتخابات.

ما حدث كان انقلاباً دستورياً على العملية الانتخابية من أوثق حليف لفرنسا ويدعم من قوات «الدرك الوطني»؛ لذا أثارت تكهنات أن تشهد البلاد انقلاباً عسكرياً لأول مرة ضد الرئيس المعرقل للانتخابات؛ لأن الدستور السنغالي يمنع بشكل قاطع تأجيل أو إلغاء انتخابات الرئاسة.

الرئيس مكي سال، الذي تنتهي ولايته في أبريل ٢٠٢٤م، ولا يحق له الترشح لمرّة ثالثة، سعى للالتفاف على الدستور وإعطاء عملية إلغاء الانتخابات شكلاً قانونياً، عبر إصدار مرسوم رئاسي يظهر الإلغاء على أنه تأجيل، ثم التصويت على التأجيل بحيث يبقى في السلطة طوال فترة التأجيل، عقب انتهاء فترته الرئاسية!

في ٤ فبراير ٢٠٢٤م، شهدت السنغال، وهي دولة ذات ديمقراطية متجذرة منذ استقلالها، وغالبية سكانها من المسلمين بنسبة ٩٦%؛ احتجاجات شعبية واسعة بسبب رفض الميول الاستبدادية للرئيس مكي سال الموالى لفرنسا؛ حيث قرر الرئيس إلغاء الانتخابات، التي كانت مقررة في ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م دون سبب محدد، فيما تقول المعارضة: إن سبب الإلغاء يعود لسعيه منع فوز مرشح معارض لفرنسا، التي تُهيمن على القرار السياسي بالبلاد، بالرئاسة.

لفرنسا، هذا المنافس هو عثمان سونكو، الذي ينتمي إلى حزب «باستيف»، وقد نسج الرئيس سال مؤامرة ضده، وأودعه السجن، ودعّم مرشحاً آخر لمنصب رئيس الجمهورية في الانتخابات الرئاسية يُدعى أحمد سيكو باه يفترق إلى الشعبية والكاريزما، لمجرد أنه موالٍ لفرنسا مثله! الآن تحولت السنغال إلى ثورة ضد الرئيس، ومصادمات بين الشرطة والمعارضين لتأجيل الانتخابات، وشهدت العاصمة عدة حرائق بسبب الفوضى.

وتتصاعد الأحداث بصورة درامية يخشى معها المراقبون أن يضطر الجيش للتدخل والقيام بانقلاب عسكري، لتدخل البلاد دوامة الانقلابات لأول مرة في حياتها، وتتهار ديمقراطيتها الشهيرة لمجرد دوافع استبدادية من رئيسها الموالى لفرنسا

وفي ٦ فبراير، تم إخراج النواب المعارضين للتصويت على تأجيل الانتخابات من البرلمان بقوة الجيش والدرك الوطني لأول مرة، وصوتت الأغلبية الرئاسية لصالح ما يرغب به سال وفرنسا، وحمت بذلك مصالحها في السنغال، وحصل الرئيس سال بذلك على موافقة مزورة من البرلمان على التأجيل حتى ١٥ ديسمبر ٢٠٢٤م، وأن يبقى في الحكم حتى موعد الانتخابات؛ ما أشعل المظاهرات.

فرنسا السبب

محللون يرون أن الرئيس سال، الحليف الأبرز لفرنسا في غرب القارة الأفريقية، سعى لتأجيل الانتخابات لأنه لا يمكنه الترشح لفترة رئاسية ثالثة، وبعدها ظهر منافس قوي لتولي رئاسة الجمهورية يحظى بمحبة الجماهير ومعادٍ



عثمان سونكو



الرئيس ماكي سال

محللون: سال أجّل الانتخابات لظهور منافس قوي يحظى بمحبّة الجماهير ومعايد لفرنسا

فرنسا وراء تأجيل الانتخابات لعدم سقوط السنغال بيد مناهضيها بعدما فقدت ٣ دول أفريقية

الذي تحركه باريس ليمنع فوز مرشح يعاديها في الانتخابات المقبلة.

ويقول محللون: إن فرنسا سبب الفوضى في السنغال، وإنها تدعم خطط الرئيس لتمتع وصول معادٍ لها للرئاسة يطالبها بالخروج من السنغال، كما طالبها زعماء مالي والنيجر وغيرهما، وقد أقلق فرنسا تكرار سنغاليين ما فعله أبناء مالي والنيجر من رفعهم أعلام روسيا ومطالبتهم بمغادرة فرنسا وأمريكا من أراضيهم، وطرح ذلك تساؤلات حول: هل تلحق السنغال بدول أفريقيا التي طردت فرنسا من أراضيها؟

واندلعت مظاهرات كبيرة في جميع أنحاء البلاد، خاصة أمام البرلمان الذي قُتِل الانقلاب الدستوري، وقام الرئيس الموالي لفرنسا بقطع الإنترنت وقمع الشعب التواق للحرية.

لعنة الفترة الثالثة؟

وترجع الأزمة السياسية في السنغال إلى ثار بين الرئيس الحالي والمعارضة التي دعمت التعديلات الدستورية التي تمت الموافقة عليها عام ٢٠١٦م، التي تم بموجبها تقليص الولاية الرئاسية إلى ولايتين فقط؛ ما حرم الرئيس الحالي من الترشح لفترة ثالثة، وقد نصّ الدستور السنغالي المعدّل على أنه «لا يمكن لأحد أن يحكم البلاد أكثر من فترتين متتاليتين».

لكن وضع التعديلات الدستورية بعد تولي الرئيس سال ولايته الأولى التي بدأت عام ٢٠١٢م أثار خلافات، ففي عام ٢٠٢١م أعلن الرئيس سال أنه ينوي الترشح لولاية ثالثة، معتبراً أن هذه المادة لا تنطبق عليه؛ إذ إن ولايته الأولى كانت قبل

الإصلاحات الدستورية.

وقد اعتبرت القوى السياسية المعارضة وعلى رأسها رئيس حزب «باستيف» عثمان سونكو، عزم الرئيس الترشح لولاية ثالثة بأنه «تفسير للدستور لصالحه»، ودعت أنصارها إلى النزول للشارع للوقوف أمام طموحات سال في الاستمرار بالحكم.

وشهدت البلاد عام ٢٠٢١م مظاهرات عنيفة شملت دكار وتيبس وكبريات المدن في السنغال، وراح ضحيتها عدد من القتلى والجرحى، ثم تدخلت المشيخة الصوفية وهيئات العلماء المسلمين وأدوا دوراً في إنهائها، ليعلن الرئيس سال تخليه عن الطموح لولاية ثالثة.

بيد أن الأزمة استتعلت من جديد هذا العام (٢٠٢٤م) عندما أصدر المجلس الدستوري في السنغال القائمة النهائية التي ضمت ٢٠ مرشحاً رئاسياً، ليس من بينهم كريم واد، زعيم الحزب الديمقراطي السنغالي، نجل الرئيس السابق عبدالله واد، الذي كان الرئيس الحالي يعدّه ليكون مرشحاً بدلاً منه ورئيساً مستقبلياً، حيث تم رفض ترشيح واد لأنه ثنائي الجنسية، ومعه جنسية فرنسا مع السنغال، وطالب نواب من الحزب الديمقراطي السنغالي (الحاكم) بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق مع عضوين في المجلس الدستوري لاتهامها بأخذ الرشوة من أجل إبعاد واد، بحجة أن المجلس قبل مرشحة أخرى مزدوجة الجنسية ورفض مرشح الحزب الحاكم مع أنه مثلهما.

ومع تصاعد التوتر بين البرلمان والمجلس

الدستوري والرئيس والمعارضة تدخل الرئيس ليلغي الانتخابات لحين الترتيب لوضع حل واختيار مرشح واضح ليس عليه أي إشكاليات ليكون خليفته ومرشح الحزب الحاكم في الانتخابات.

ويقول الباحث في الشؤون الأفريقية محمد الأمين سوادغو: إن هناك ٣ أسباب وراء تمديد

سال للفترة الرئاسية وتأجيل الانتخابات، هي: الأول: صفقة الغاز السنغالي وعمولات عقودها، التي ينبغي أن تسلم في حدود ٤ إلى ٩ أشهر، وضغط قيادات عسكرية وأمنية للحصول على نصيبها، لهذا تحايل الرئيس لتأجيل الانتخابات ١٠ أشهر ليبقى في السلطة ويحصل على العمولات، ويسترضي الجنرالات بذلك حتى لا ينقلبوا عليه.

الثاني: ضعف مرشحه المفضل أحمد باه، حيث تبين له أنه سيخسر أمام منافسيه الشرشين أعداء سال التاريخيين الذين يتربصون به، للزج به في السجن كما فعل بهم، لهذا رأت الدائرة المحيطة به تأجيل الانتخابات لحين تجهيز مرشح حكومي قوي.

الثالث: مطالبة فرنسا له بهذا التأجيل للحيلولة دون سقوط السنغال بيد مناهضي فرنسا في ظرف قياسي بعدما فقدت نفوذها في ٣ بلدان (مالي، بوركينا فاسو، النيجر).

ويبدو أن ما سيحسم الأمور تلك المظاهرات المندلعة في الشارع، وهل تتحول إلى ثورة ضد الرئيس تنتهي بعزله ومحاكمته، أم ينجح الرئيس بالجيش والشرطة في وأد معارضيهِ وسجنهم؟■

ماذا خسرت الأمة «اقتصاديًا» بسقوط الخلافة العثمانية؟

شهد تاريخ المسلمين حقبة زاهرة من خلال الحكم العثماني الذي استمر لأكثر من ٦٠٠ عام، وكُون إمبراطورية دان لها العالم، وبعد سقوطها والقضاء على الخلافة العثمانية في العام ١٩٢٤م، لم يعد للمسلمين دولة توحدهم، وباتت خسارتهم باهظة التكاليف، ليس على المستوى الاقتصادي فحسب، بل السياسي والاجتماعي والثقافي كذلك.



الناتج الزراعي العثماني كان يحقق الاكتفاء الذاتي ويتجه جزء منه للتصدير

فصرفت الدولة رؤوس الأموال لبناء القواعد الأساسية للبنى التحتية للنشاط التجاري، واهتم السلاطين أنفسهم وكبار رجال الدولة بتعزيز ذلك النشاط، وعلى سبيل المثال؛ حينما فتح الغازي أورخان مدينة بورصة أنشأ مباشرة سوقاً تجارية، كما أن السلطان محمد الفاتح بعد أن فتح القسطنطينية أنشأ سوقاً تجارية ما زالت موجودة حتى وقتنا الحاضر؛ وهي السوق المسقوفة وسط إسطنبول، كما أن المدن العثمانية الكبيرة تميزت بأسواقها مثل فليلة وسراي بوسنة وأسك وسلاطيك.

بل إن الدولة العثمانية حرصت في سياستها لإنعاش التجارة على العناية بأهلها من أصحاب الخبرة والمهارة من خلال جمعهم بالمدن الكبيرة، مثل إسطنبول التي انتقل إليها تجار من بورصة والقاهرة، وكذلك سلاطيك التي سكنها اليهود الذين فروا من «محاكم التفتيش» بالأنديلس، وكانت من أغنى مراكز الإمبراطورية العثمانية وأنشطتها التجارية.

كما أنه لا يمكن إغفال الموقع الجغرافي للدولة العثمانية في تعزيز تجارتها الخارجية وإنعاش التجارة العالمية، فقد كانت الإمبراطورية

وتحقيق الفتوحات المنشودة، كما كان له «الوقف» دوره المنشود، لا سيما في دعم التعليم والصحة. والناظر إلى الأنشطة الاقتصادية في الدولة العثمانية يجد أن الناتج الزراعي كان يحقق الاكتفاء الذاتي، بل يتجه جزء منه للتصدير، وقد كانت معظم أراضي الدولة العثمانية أراضي «ميرية»؛ أي خراجية ملكيتها لبית مال المسلمين، مع منح الحق للرعية بإيجارها أو إعارتها ببدل يُدفع لبית المال يسمى «العشر»؛ وهو خراج المقاسمة الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم على الخارج من أرض خيبر، وإن كان توزيع الخارج في خيبر يتم منصفة.

وبذلك تميز هذا النظام بالعدالة بعيداً عن النظام الإقطاعي الذي كان يسود أوروبا ورسخ للسُّخرة والظلم الاقتصادي، فالنظام الزراعي العثماني كان يعتمد على نظام «التيمار» الذي يعين أسلوب العمل في الأرض وتشغيلها، والوضع الحقوقي للمزارعين والمشرفين على العمل، ونظام الضرائب.

النشاط التجاري

أما التجارة، فرغم ما اتسم به المجتمع العثماني بالمقدرة القتالية، فإنه لم يهمل التجارة،



د. أشرف دوابسه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

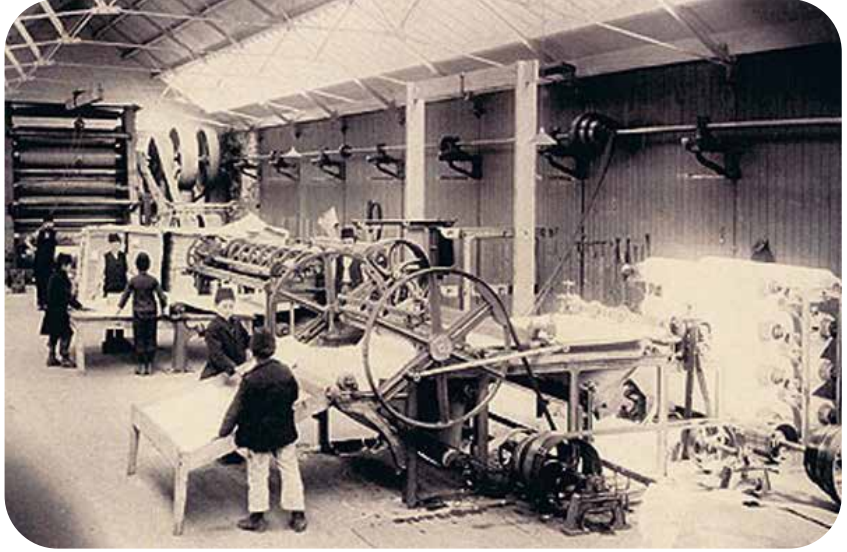
كان الاقتصاد العثماني فريداً من نوعه، وإن اعتراه ضعف في بعض فتراته خاصة منذ القرن السادس عشر؛ وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى انهيار تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف، الحاملة للواء الإسلام، وأصبح المسلمون من بعدهم يتألم في وادي الذئاب الذي صنعه المستعمر الغربي على يديه!

لقد تميز العثمانيون في إدارة ميزانية الدولة؛ إيراداً وإنفاقاً، من خلال موارد أساسية كالزكاة والجزية والخراج، فضلاً عن موارد مساعدة من ضرائب ورسوم، من خلال وزارة متخصصة؛ مما مكن من توفير السيولة اللازمة للدعم الحربي

الدولة صرفت رؤوس الأموال لبناء القواعد الأساسية للبنى التحتية للنشاط التجاري

الصناعة غطت الحاجة
المحلية وصدرت للخارج حتى
أواخر القرن الثامن عشر

الاقتراض الخارجي وامتيازات
الأجانب أدت إلى ضعف الدولة
وإفلاسها ثم انهيارها



وبعد مفاوضات مطولة، تم إنشاء إدارة الديون العمومية العثمانية عام ١٨٨١م (في عهد السلطان عبد الحميد الثاني) لممارسة السيادة الأوروبية على أجزاء من مالية الدولة، ولتأمين استمرارية سداد الدين الذي تم تخفيض قيمته الإسمية بحوالي النصف خلال المفاوضات.

وخلال العقود الثلاثة التالية، وحتى إعلان الحرب العالمية الأولى، كان جزء كبير من عائدات الدولة تحت سيطرة إدارة الديون، وقد استخدم لسداد القروض، وعشية الحرب العالمية بلغ حجم الاقتراض السنوي، وكذلك حجم الدين الخارجي القائم مجدداً النسب العالية غير العادية التي شهدتها الدولة في سبعينيات القرن الماضي.

وكان من نتيجة فتح باب الاقتراض الخارجي لأول مرة في عهد عبد المجيد الأول بروز المزيد من الامتيازات للأجانب وضرب سيادة الدولة؛ وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى ضعفها وإفلاسها ثم انهيارها فيما بعد في العام ١٩٢٤م.

وبذلك زالت شمس تلك الإمبراطورية العظيمة بأخطاء بعض سلاطينها، رغم ما حققته في أوج عزها من قوة ورفعة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبعدها صار حال بلادنا كحال القطيع الذي يهيم في الصحراء باسم الدولة القومية التي خطط لها ونفذها «سايكس» و«بيكو»، ورغم هذا الجرح وهذا الألم ما زال الأمل معقوداً ليعيد التاريخ نفسه ويعود للمسلمين مجدهم وعزهم. ■

ولكن التسارع الصناعي الغربي كان أكثر قوة وانتشاراً؛ فاجتاحت السلع الغربية الأسواق العثمانية، ودحرت المنسوجات الأوروبية القطنية نظيرتها العثمانية في عقر دارها، وتحولت الدولة العثمانية إلى مورد للمواد الأولية للصناعة الغربية لا سيما القطن والحريير والصوف، وساهم في هذا الضعف: ضعف الدولة بصفة عامة في ظل عصيان محمد علي باشا (والى مصر) وتقديم الدولة تنازلات للغرب بمزيد من الامتيازات للأجانب من خلال إجازة اتفاقية تجارية عام ١٨٣٨م، بدلت بمقتضاها قوانين الجمارك المقلصة لأرباح التجار الأجانب، وألغت القيود المفروضة على استيراد السلع الغربية وتصدير السلع العثمانية.

المصيبة الكبرى!

وجاءت بعد ذلك المصيبة الكبرى، ففي عام ١٨٥٤م وخلال حرب القرم، بدأت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول بيع سندات طويلة الأجل في الأسواق المالية الأوروبية، وفي العقود التالية توسع الاقتراض بمبالغ كبيرة من لندن وباريس وفيينا وأماكن أخرى بشروط لا تتفق ومصطلحتها بشكل مطرد، وأدت الأزمات المالية عام ١٨٧٣م إلى توقف الإقراض من قبل الأسواق المالية الأوروبية، كما أجبرت الحكومة على إعلان التوقف التام عن سداد القروض عام ١٨٧٥ - ١٨٧٦م (في عهد السلطان عبد العزيز الأول) التي بلغت قيمتها ٢٠٠ مليون جنيه إسترليني.

العثمانية جسراً بين دول الشرق والغرب، كما أنه رغبة في تنشيط الحركة التجارية منحت الدولة العثمانية امتيازات للتجار الأجانب؛ وقد كان هذا مسماراً دق في نعش الدولة العثمانية لا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ فمن خلال هذه الامتيازات أصبح التاجر الأجنبي أولى بالرعاية من مثيله العثماني؛ مما ساهم في هيمنة التجار الأجانب والأقليات غير المسلمة على النشاط التجاري.

أما الصناعة، فقد غطت الحاجة المحلية، وصدرت منه للخارج حتى أواخر القرن الثامن عشر، ومثال ذلك الاكتفاء الذاتي من النسيج وتصدير كميات كبيرة من المنسوجات إلى الخارج، كما أن الدولة العثمانية تميزت بالصناعة الحربية لا سيما صناعة المدافع، فضلاً عن توسع هذا النشاط الصناعي من خلال تصنيع الخيوط والبسط والجلود والأخشاب والخرفيات والنحاسيات والحديد والسكاكين والسيوف والمسدسات والبنادق والخياطة والأحذية والذهب والفضة.

ويمكن القول: إن التطور الصناعي للدولة العثمانية مر بمرحلتين: مرحلة التصنيع وأسلوب الإنتاج النمطي التقليدي المتوارث، ومرحلة النمط الحديث بعد الثورة الصناعية في الغرب، التي قلبت الموازين ضد منافسة العثمانيين للغرب لا سيما في أواسط القرن التاسع عشر، رغم اتجاه الدولة العثمانية إلى تشجيع إقامة مؤسسات صناعية كبيرة، وفق الإنتاج المتطور في الغرب.

اليهود.. البداية والنهاية (4) هجرة بني إسرائيل إلى مصر



الشيخ خالد آل عبد الله داعية إسلامي

كانت بداية بني إسرائيل في فلسطين التي ولدوا وترعرعوا وشبوا على ترابها، حيث كانت تلك الأرض شاهدة على سوء طباعهم ومكرهم وكيدهم لأخيهم الطفل البريء يوسف، حين غلت مراجل الحقد والحسد في صدورهم فتخلصوا منه بطرحه في غيابة (قعر) بئر مطوي مظلم على طريق القوافل بين مصر والشام، دون أدنى مراعاة لمشاعر هذا الطفل المسكين.

ألقوه في البئر وارتحلوا عنه وارتاحوا منه، وهم يظنون أن قصة يوسف قد انتهت للأبد، ولا يدرون أن الله سيلجئهم إليه أذلاء صاغرين حال كونه عزيزاً أميناً على خزائن الأرض، ليخبرهم بما فعلوه معه يوم أن كان طفلاً صغيراً: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف: ١٥).

وتلك الأيام ندائها بين الناس:

لقد دارت الأيام دورتها، بعدما تنقلت بيوسف من محنة إلى محنة، ومن فتنة إلى أخرى، وهو صابر محتسب مراقب لربه جل جلاله، فتحولت المحن إلى منج، والفتن إلى نعم، ليجلس يوسف بعد الرق والسجن على سدة الحكم وخزائن الأرض.

وفي مشهد فذ، يدخل الإخوة العشرة على أخيهم يوسف العزيز، فيعرفهم دون أن يعرفوه، وأنى لهم أن يعرفوه وهم على يقين أن يوسف إن لم يكن ميتاً فهو عبد يباع في سوق الرقيق.

لقد استعلى يوسف على كل آلامه وجراحه النازفة، وتعالى على أليم ذكرياته، وراح يعاملهم بأخلاق النبوة، بكل كرم وترحاب، بل لقد بالغ

**بنو إسرائيل استقروا بمصر
وأعقد العزيز عليهم من الخيرات
وأقطعهم أرضاً بأخصب البقاع**

في إكرامهم وأجزل لهم العطاء: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخْ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾ (يوسف: ٥٩)، وأمرهم أن يأتوا له بأخيهم راغبين أو راهبين.

وانطلق القوم قافلين ودخلوا على أبيهم وأخبروه بما حدث معهم، فلم يزالوا به حتى أقنعوه بأخذ أخيهم الأصغر إلى عزيز مصر، وبعد أيام عادوا بأخيهم إلى مصر مرة أخرى، فتقصداً باب العزيز: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (يوسف: ٦٩): فرح يوسف بلقاء شقيقه الصغير، ثم دبر له مكيدة بأنه سرق مكيال الملك، ليبقيه معه في قصر الملك، وقد كان جزاء السارق في شريعة نبي الله يعقوب أن يؤخذ عبداً عند صاحب المتاع المسروق.

ولا تياسوا من روح الله:

عاد الإخوة إلى فلسطين ودخلوا على أبيهم بدون أخيهم الأصغر، فانصدم يعقوب من هول ما

جری، وعادت الذکریات الیوسفیة الأولى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (یوسف: ۸۴)، وظل یعقوب یشکو بته وحزنه إلى ربه الذي ألقي في قلبه الطمانينة والرضا والأمل بلقيا ما فقد من أولاده فنادی: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (یوسف: ۸۷).

لا تثريب عليكم اليوم:

عاد أولاد یعقوب إلى مصر مرة أخرى لیبحثوا عن یوسف وأخيه بعد ما صارحهم یعقوب ببقينه أن یوسف ما زال حياً، فقصداوا باب العزيز وقد بدا عليهم الإرهاق من تتابع السفرات وبُعد المسافات وشدة الفحط وقلة المال: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ﴾ (یوسف: ۸۸)، فلما رأى ما بهم من إرهاق وضر: رق لحالهم، وقرر أن یعرفهم على نفسه بتدرج حتى لا یصدموا: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (یوسف: ۸۹)، ذكّره بكيدهم الأسود بأخيهما الصغير، ذكّره بيوسف الذي أمروا أن يتحسسوا منه في هذه الرحلة، وهنا تغيرت نظرتهن إلى العزيز وبدؤوا یدققون في ملامحه، في نبرة صوته، في صورته، فالملاحم هي هي، والصور متقاربة، والصوت ليس عنهم بغريب؛ لذا قالوا بكل ذهول على لسان رجل واحد: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ (یوسف: ۹۰)، أنت یوسف؟ أيعقل أن يكون یوسف حياً؟ وأن يكون هو العزيز الذي كانوا يتذللون بين يديه منذ قليل؟ فأجابهم: نعم ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (یوسف: ۹۰) بنعم تنقلب فيها، حتى أوصلني ربي إلى منصب الحاكم لمصر القائم على خزائن الأرض.

وهنا اعترفوا له بتفضيل الله له عليهم، كما اعترفوا له بعتيهم جرمهم في حقه وحق والدهم، فعفا عنهم ولم يثرب عليهم، ثم كلفهم بالمهمة الأخيرة: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (یوسف: ۹۳).

جاء البشير حاملاً قميص یوسف، ثم ألقاه على وجه یعقوب فارتد بصره أفضل مما كان

تبدلت أحوالهم وكرههم المصريين لما تغيرت نفوسهم وآثروا العزلة بحجة أنهم من نسل الأنبياء

عليه، في معجزة كريمة لنبي الله یوسف عليه السلام، ثم أخذ الجميع في الاستعداد للهجرة من فلسطين إلى مصر العزيز.

تأشيرة الدخول الملكية:

﴿وَأُتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (یوسف: ۹۳): كانت هذه الجملة بمثابة سمة الدخول وتصريح الإقامة لبني إسرائيل على أرض مصر الطيبة. حيث أخذ یعقوب أهله وأولاده وأحفاده وعبيدهم ودوابهم وأموالهم وكل متاعهم، وانطلق الموكب من بدو فلسطين حتى حط رحاله في قصر عزيز مصر: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَتِهِ﴾ (یوسف: ۹۹)، فأكرمهما ورحب بهما وبالع في إكرامهما، وأنزلهما في أعلى منزلة: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَتِهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (یوسف: ۱۰۰)، وأجلسهما على كرسي الوزارة وعرش الملك، بينما وقف الإخوة الأحد عشر أمامه، وخر الجميع ليوسف ساجدين سجود تحية وإجلال، وليس سجود عبادة^(۱).

وبهذا المشهد الرقيق، استدعى یوسف شريط الذکریات، يوم أن دخل على أبيه وهو طفل صغير ليقص عليه رؤياه المنامية قائلاً: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (یوسف: ۴)، التي يرى تأويلها العملي بين يديه ماثلاً، فقال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (یوسف: ۱۰۰): إذ تحولت من الرمزية النظرية لحادث مستقبلي إلى واقع مشاهد عملي.

بنو إسرائيل.. ما بين یوسف وموسى:

استقر أولاد یعقوب (بنو إسرائيل) في مصر، ونزلوا برحاب عزيزها فأسكنهم وأكرمهم غاية الإكرام، وأغدق عليهم من النعم والخيرات، وأقطعهم بأمر الملك أرضاً في أخصب البقاع، وظلت سلالتهم هكذا حيناً من الدهر، تنعم بكرم المصريين ورعايتهم، بل لقد وصل

كثير منهم إلى أعلى الدرجات^(۲).

يقول د. عبدالرحمن مرعي، في كتابه «أهل الكتاب في القرآن الكريم»: إن بني إسرائيل دخلوا مصر أيام الهكسوس وعاشوا حياة كريمة، وداموا على هذه الحال لمدة قرن من الزمان، قبل أن يعانون ويعملوا عبيداً فترة حكم فرعون^(۳).

استعباد الفراعنة لبني إسرائيل:

نعم، لقد تغيرت الأحوال وتبدلت النعم عليهم، وكرههم المصريين، لما تغيرت نفوس أجيالهم وآثروا العزلة عن المصريين بحجة أنهم من نسل الأنبياء، فلا يخالطونهم ولا يناكحونهم، لا سيما وأنهم ينسبون إلى الأسرة الحاكمة بعدما نالوا في ظل یوسف أعلى المناصب والوظائف. لكن دوام الحال من المحال، والأيام دول، فقد زالت دولة یوسف العزيز الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، ربيب بيت النبوة، سليل الكرام، واعتلى سدة الحكم فرعون ظالم قاهر، أنساهم بشدة بأسه كل راحة وكل نعيم.

جاء في العهد القديم: «إن ملكاً من الفراعنة جاء بعد یوسف، لم یعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه، فاسترق بني إسرائيل واستعبدتهم»^(۴)، وقد صور القرآن العظيم مشهد الاستعباد لهم تصويراً دقيقاً: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِطَافَهُ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ۴).

ظل بنو إسرائيل على هذه الحالة من الظلم والاضطهاد والاستضعاف والاستعباد حتى بعث الله نبيه موسى عليه السلام الذي كان لبني إسرائيل بمثابة سفينة النجاة، فماذا فعل بنو إسرائيل بمن أكرمهم ونجاهم من سوء العذاب؟

الهوامش

- (۱) بتصرف من كتاب «القصص القرآني» للدكتور صلاح الخالدي.
- (۲) العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح (۴۷) / (۱۱).
- (۳) كتاب «أهل الكتاب في القرآن»، د. عبدالرحمن مرعي.
- (۴) تاريخ ابن خلدون (۱/ ۱۲۰).

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (6) الصمود النفسي



يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس السادس بعنوان «الصمود النفسي».

د. رمضان أبوعلي

أستاذ جامعي - دكتورة في الدعوة الإسلامية

نقصد بـ«الصمود النفسي» الثبات والاتزان والقدرة على المواجهة الإيجابية للضغوط المتنوعة، أما صمود الداعية فإنه يعني ثباته أمام تحديات الدعوة وقدرته على تجاوز صعوباتها.

التأصيل الشرعي:

لقد دعا الإسلام إلى الصمود النفسي من خلال الأمر بالصبر والثبات والتحمل والمجاهدة، قال تعالى: «اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَاصْبِرُوا» (الأعراف: ١٢٨)، وقال أيضاً: «وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ» (يونس: ١٠٩)، وقال: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (العنكبوت: ٦٩)، ففي الآيات دعوة إلى الصبر والتحمل والمجاهدة من أجل تحقيق الصمود النفسي والثبات أمام الصعوبات التي لا تقتصر على المصائب والابتلاءات، بل تشمل العطايا والهبات، فيجب الصمود تجاهها وعدم الاغترار بها، قال تعالى: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» (الأنبياء: ٣٥)، وقال النبي صلى الله عليه

وسلم: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»^(١).

التوظيف النفسي:

يسهم الصمود في تقوية النفس ودعمها، ويصل بها إلى التأثير في الآخرين، ويسهم في القدرة على التوافق والتأثير الفعال، والتماسك والثبات أمام التحديات، مع الشعور بحالة من الاستبشار والتفاؤل والاطمئنان^(٢)، فإذا حدث ذلك فإن الشخص

الصامد يتحرك بإيجابية، ويندفع في اتجاه الظاهرة الإبداعية، التي تتجاوز الصعوبات الحالية، وتترقب الإشرافات المستقبلية.

التوظيف الدعوي؛

إذا أدرك الداعية أن الصمود أساس للتأثير النفسي؛ فإنه يسعى إلى اكتسابه والتخلي به، ثم توظيفه في عمله الدعوي، وذلك من خلال أمور، منها:

أولاً: الاستجابة لله ورسوله؛ فهي تغذي قلب المؤمن بالثبات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (النساء: ٦٦).

ثانياً: التزود الدائم من القرآن الكريم؛ فهو أعظم وسائل الثبات والصمود، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: ٣٢)، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠).

ثالثاً: اليقين بأن الباطل ضعيف ومهزوم، وأن الحق قوي ومنصور؛ فإن هذا مما يهون شأن الباطل، ويفتح باب الأمل أمام الداعية الصامد، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨).

رابعاً: دوام الدعاء والاستعانة بالله تعالى، حيث قال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩)، وعندما استعانت امرأة العزيز بالنسوة على سيدنا يوسف استعان عليهم بالله سبحانه فاستجاب له؛ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ (يوسف).

إذا استجاب المسلم لربه ودوام على دعائه وتزود من كتابه واستند إلى ركنه الشديد وأيقن أن الباطل ضعيف زائل والحق قوي فاعل، فإنه يمتلئ صموداً نفسياً وعزماً قوياً وسعيًا دعوياً وتأثيراً جماهيرياً؛ ذلك أن الإسلام يربي أتباعه على الصمود في كافة

المسلم إذا استجاب لربه واستند إلى ركنه الشديد أيقن أن الباطل ضعيف زائل والحق قوي فاعل

الصمود يبعث في النفس القدرة على مواجهة التحديات وتجاوز العقبات ونصرة المبادئ وتحقيق الغايات

جوانب الحياة، فيدعو إلى التفكير والاقتناع من أجل صلاية العقيدة، وإلى الخشوع والخضوع من أجل صلاية العبادة، وإلى السلام والالتزام من أجل صلاية الأخلاق، كما يدعو إلى الصمود أمام النفس وهواها، فلا اغترار بالطاعة ولا قنوط بالمعصية. إنها الدعوة إلى الصمود إلى الثبات، ومجاهدة الشهوات، ومواجهة الشبهات، وترك المنكرات، وفعل الخيرات.

الدليل على التأثير الناجح؛

تعددت الأمثلة التي تدل على أن الصمود النفسي يسهم في التأثير الدعوي، ومنها: ما كان من أمر سحرة فرعون، الذين حشدوا ما لديهم من طاقة، وألقوا ما بأيديهم من سحر وحماقة، حتى خاف الناس من الخيالات العملاقة، وهربوا خشية القتل أو الإعاقة، حتى جاءتهم الإفاقة، حيث أمر الله تعالى موسى بإلقاء العصا في الساحة العملاقة، وقال له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١٦﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٧﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿١٨﴾ (طه)، فقد كشفت الآيات عن مدى الخوف الذي أصاب سيدنا موسى عليه السلام حين فعل السحرة ما فعلوا، لكن الله تعالى عالج خوفه حين ذكره بعلو قدره وشرف رسالته، ثم زاده ثباتاً بقوله: ﴿لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)، فلما تذكر سيدنا موسى أنه الأعلى بسبب إيمانه واستناده إلى ربه واستشعار معيته؛ زاد الصمود لديه، واستجاب القوم إليه، وهكذا

يستمد الداعية من إيمانه ما يعالج خوفه ويدعم صموده، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

والقارئ لقصة غلام أصحاب الأخدود^(٣)، يجد أن ثبات الغلام على موقفه الديني وصموده في مواجهة الظالمين وأعوانهم قد أدى إلى إيمان القوم به، وعدم خشيتهم من إعلان ذلك، حتى صاحوا قائلين: آمنا برب الغلام.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثل في الصمود النفسي بما يدعم التأثير الدعوي، فعندما ذهب المشركون إلى عمه أبي طالب، وطلبوا منه أن يمنع الرسول من الدعوة إلى الله تعالى، وقف الرسول صلى الله عليه وسلم صامداً معتزاً بدعوته، يقول: «يَا عَمُّ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ»، ثُمَّ قَامَ؛ فَلَمَّا وَلَّى ناداه أبو طالب، فقال: يا ابن أخي؛ اذهب فقل ما أحببت، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمُكَ لشيء أبداً^(٤).

وعندما كادت الهزيمة أن تقع بالمسلمين في غزوة «حنين»، وهرب عدد من أفراد الجيش، تقدم النبي صلى الله عليه وسلم معلناً ثباته وصموده، قائلاً: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»^(٥)، فما أن سمع الصحابة النداء، ورأوا الموقف الوضاء حتى أقبلوا بعد فرار، وانتصروا بعد هزيمة.

والخلاصة؛ أن الصمود يبعث في النفس القدرة على مواجهة التحديات وتجاوز العقبات ونصرة المبادئ وتحقيق الغايات. ■

الهوامش

- (١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩).
- (٢) الصمود النفسي من وجهة نظر علم النفس الإيجابي، د. ريم سليمان، ص ٩٥.
- (٣) صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٩٩ رقم ٣٠٠٥).
- (٤) السيرة النبوية: لابن هشام، (١/ ٢٤٠).
- (٥) صحيح البخاري، (٢/ ١٠٥٢ رقم ٢٧٠٩).



وهبت رياح التغيير.. شعبان ورمضان

يترقب المسلمون في هذه الأيام بلوغ شهر رمضان، رغبة في الغفران، والعتق من النيران، ونيل أعلى درجات الجنان، ورغم هذا الاهتمام يغفل الكثير عن تجهيز قلبه لاستقبال هذا الشهر الكريم، فمع أن رمضان مضمار سباق إيماني؛ هل يعقل أن يفوز متسابق لم يتأهل قبل السباق؟!

وامتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)، تعين أن نتذكر كيفية الاستعداد لتحقيق أقصى استفادة من رياح التغيير التي يحملها الشهران شعبان ورمضان، ليكون المرء من الفائزين بإذن الله تعالى.

رقية محمد

١- التوبة والاستغفار وصحبة القرآن:

إن الذنوب لها أثر سيئ على القلب، وكلما سارع العبد في التوبة منها سلم قلبه، وإذا لم يتب تركت أثراً يبقى فيه، ومع تكرار الذنوب يتكون الران على القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: (كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين: ١٤)» (رواه أبو داود والترمذي)؛ وهذا الران هو ما يحجب القلب عن شعوره بالخشوع ولذة

العبادة، ويمنع استقباله أنوار الوحي، وذلك ما يلاحظه كثير من المسلمين في بداية رمضان من عدم تأثر قلوبهم بالطاعات، ثم زوال هذا الأمر تدريجياً بالتقدم في الشهر مع كثرة الطاعات وطول تعرض القلب لكلام الله.

وعليه؛ فبدلاً من تضييع أيام رمضان لإزالة هذا الران، فليبدأ المرء في إزالته قبله، وقد بين الشرع أهمية الاستغفار في شعبان حينما جعل رفع الأعمال في ليلة النصف من شعبان؛ وذلك ليحث النفوس ويوقظها لكي تستعد مبكراً للسباق الإيماني في رمضان.

**للذنوب أثر سيئ على القلب
وكلما سارع العبد في التوبة
سلم قلبه وإذا لم يتب تركت
أثراً يبقى فيه**

٢- إعداد النفس والأخذ بالعزيمة والهمة:

إن النفس تحتاج إلى العزيمة والهمة في الأمور التي لا تألفها حتى تصبح لها عادة، ويجب إعداد النفس بكل ما يُعينها على أداء الطاعات، وقد ذم القرآن المهملين لذلك، وجعله دليلاً على عدم صدق نواياهم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦).

ومن إعداد النفس التدريب على تدبر القرآن؛ وذلك لتحقيق المقصد من نزوله، وهو تلاوته حق التلاوة بفهمه والعمل به، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى؛ لتستحضر النفس عظمة الله تعالى وجلاله فتحبه وتخشاه، ومعرفة فضل رمضان وما

فيه من مضاعفة الثواب والعق من النيران؛ فذلك يدفع النفس للعمل دفعاً عظيماً، ومعرفة أحكام الصيام؛ ليقوم العبد الصيام بحقه، وتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصالحين؛ للاقتداء بهم، وكل يستعد بما يقدر عليه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦).

٣- التنظيم والتخطيط:

يضع الكثيرون خططاً ومنظمات للوقت وتتبعات للعادات؛ ولكن القليل منهم من يضعون مخططات لاستغلال الأوقات في الطاعات أمثل استغلال ذلك حتى لا يطفئ جانب له حقوق على غيره، وقد جاء في وصية سلمان الفارسي لأبي الدرداء: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» (رواه البخاري)، فإن العبد محتاج إلى تنظيم وقته ليعطي كل ذي حق حقه.

وجميل أن يضع المرء قائمة بالصفات المذمومة التي يود التخلص منها في سائر هذه الجوانب، وتحديد مدة زمنية للعمل عليها حتى تقادها، وزرع الصفات الجيدة الجديدة مكانها، ثم يعمل على تثبيتها، ولا يمل إن سقط مرة أو مرات، فإنه «لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» (رواه البخاري ومسلم)، ويكفي دافعاً لذلك أن يري العبد ربه من نفسه خيراً وهو يجاهدها، فإن ذلك من أسباب الهداية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

٤- التدرج في التزام النوافل:

رغب الله سبحانه وتعالى عباده في النوافل، فجاء

شعبان
ورمضان فرصة
لمن أراد تغيير نفسه
وتصحيح علاقته مع
خالقه

على العبد
أن يجعل هدفه
من النوافل محبة
الله والتدرج فيها
والزيادة منها

من إعداد
النفس التدريب على
تدبر القرآن بتلاوته
وفهمه والعمل
بما جاء به

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه).

واستغلال الأوقات الفاضلة في ذلك غنيمة كبيرة؛ لذا أكثر الصالحون من الدعاء قبل رمضان ببلوغه والتوفيق في العبادة فيه ولزوم الاستغفار لذلك.

وختاماً: شعبان ورمضان فرصة حقيقية لمن أراد تغيير نفسه وتصحيح علاقته مع خالقه، فتلك الأوقات الفاضلة لا بد أن يفتتها العبد ولا يجعلها تمر في غفلة منه، وأن يقتدي فيها بسيد الخلق أجمعين، فكما جاء في حديث عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان» (رواه البخاري، ومسلم).

وكما خص الرسول صلى الله عليه وسلم شعبان بمزيد من صيام التطوع عن غيره من الشهور؛ فلا بد كذلك من زيادة الطاعات فيه ليدخل العبد السباق الرمضاني على أتم الاستعداد ليكون من الفائزين برحمة الله وتوفيقه. ■

في الحديث القدسي: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (رواه البخاري).

فعلى العبد أن يجعل هدفه من النوافل تحصيل محبة الله تعالى له، وأن يتدرج فيها فيصلي ركعتين مثلاً ثم يُزيدهما لأربع بعد أسبوع وهكذا؛ حتى لا يصل إلى رمضان إلا وهو نشيط البدن خفيف النفس؛ فيقوى بذلك على القيام والصيام والذكر وسائر العبادات.

٥- الدعاء:

ليس هناك أفضل من لجوء العبد لربه ودعائه له، ولذا اختصر فيه الدين كله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

محطات إيمانية في طريق التربية..

مدفع الإفطار!



”إيمان مغازي الشرقاوي

أنا مدفع الإفطار الذي أدوي بصوتي عالياً حين أنطلق معلناً للناس ساعة الإفطار مع غروب كل يوم من أيام رمضان، هكذا وجدت نفسي في هذا المكان الذي لا حيلة لي فيه ولا اختيار، ومع ذلك فأنا سعيد بهذا العمل الذي أُلصِقَ بي؛ ذلك لأنه يذكرني بشهر الصيام والقرآن، كنت أشعر بالفخار وأنا أرتفع عالياً يتعانق صوتي مع صوت الأذان معلناً للمسلمين وقت إفطارهم، فيفرح الجميع بإتمام صوم يومهم، ويفرحون كذلك بفطرهم، لكنني الآن حزين وأشعر بالعار، وأحس أنني مهان، وإخوتي من المدافع كذلك تشعر بالعجز والهوان!

فكم تمنينا معاً أن ننطلق بقوة في الآفاق فنعبّر الفياقي والقارات لنحمي المستضعفين في كل مكان ونرد عنهم أي عدوان! كم تمنينا أن نطير بعيداً ونسبح فوق البحار لمنع مدافع القتل والدمار، التي تُوجّه رؤوسها إلى الأبرياء من النساء والرجال والشيوخ والولدان، بل وإلى البيوت والمشافي، والمساجد والمآذن، فتتطلق منها النيران دونما

تفكير أو استئذان!

مدفع الإفطار في رمضان:

كان المدفع وما زال في بعض بلدان المسلمين يُستخدم في رمضان معلناً حلول وقت الإفطار للصائمين، فيدوي صوته في الأرجاء عالياً كالرعد وكأنه يسبح بحمد ربه شاكراً أن وهبه هذه القوة الصوتية الكبيرة، التي صارت كل عام علماً على رمضان.

وما إن يسمعه الأطفال إلا ويصيحون فرحاً: المدفع ضرب.. المدفع ضرب! فيسارع الصائمون إلى الإفطار عملاً بالسنة النبوية في ذلك، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَجِّلُوا الإفطارَ، وأَخْرُوا السُّحُورَ» (صحيح الجامع)، فيتناول أحدهم التمرة أو جرعة ماء اقتداء به، فقد جاء عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفِطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلِي، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٍ فَعَلَى تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ» (رواه أبو داود).

ثم يسارع الصائم بعدها إلى بيت الله

**يُحَرِّمُ الْأَطْفَالُ الْجَوْعَى
بَغْزَةَ الْيَوْمِ مِنْ خَبْزِ
الإفطار فلا يجدون لقمة
منه تسد جوعهم**

ليؤدي فريضة المغرب التي لن يلهيه عنها طعام أو شراب، وقد يصطحب معه ولده أو حفيده الصغير؛ وهذا مما يزيد بهجة الإفطار، فإذا رجع إلى بيته بعد صلاة المغرب وجد أنسه وسروره مع عائلته، حيث مائدة الطعام الحلال قد مُدَّتْ وعليها ما لذ منه وطاب، إنه حين ينظر إليها يتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» (رواه البخاري)؛ فيشكر الله الذي أعانه على الكسب الطيب، وحفظه من الخوض في المال الحرام، كما يشكره على نعمة الصحة والعافية التي معها يحلو الطعام.

وإن الطعام إذا طاب ولم يدخله الحرام طابت النفوس وزكت، وصلحت الجوارح وسلمت، وكانت العبادة والدعاء أقرب للقبول، وظهر أثر ذلك في صلاح الذرية، وذلك من البركة في الكسب الحلال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهَا شَيْئاً مِنْ حِلٍّ فَذَاكَ الَّذِي يُبَارَكُ فِيهِ» (صحيح الجامع).

الاجتماع على الطعام وقت الإفطار:

ها هي مائدة الطعام قد
مُدت استعداداً لتناول الطعام
وقد توالى أطباقه تفوح منها
الرائحة الزكية التي تُشهيّ
النفوس وتدعوها للأكل منه.
يركض الأولاد ويلتقون
حول أبيهم فرحين، كل
يمسك بيده أو ثوبه متجهين
حيث مائدة الطعام، والسعيد
مَن يحظى بالقرب من أبيه،
فيتسابقون ويتنافسون وكلُّ
منهم يرغب في الجلوس

بجانبه، وعيونهم تتراقص من الفرحة
بهذا اللقاء الأسري اليومي في رمضان
الذي أعاد إليهم أباهم الذي أبعد العمل
والسعي والكد ليسد حاجتهم ويحفظهم
من ذل السؤال، إن هذا الاجتماع الأسري
مما يميز هذا الشهر المبارك، وبه تحلُّ
البركة في الطعام.

رغيف الخبر:

وفي وسط المائدة جلس رغيف
الخبز مرتباً وقد احتل أحسن مكان
فيها، وكأنه يقول للجميع: انظروا إليّ،
فأنا لست مثل بقية الطعام! وقد صدق
خبزنا، فما صار إلى أيدينا إلا بعد أن
مر بمراحل عدة حتى صار خبزاً شهياً
للاكلين.

غير أن رغيف الخبز اليوم يُهان وقد
بطشت به يد الإنسان! يُهان حين يُحرّم
منه الأطفال الجوعى في غزة وغيرها
فلا يجدون لقمة منه تسد جوعهم! يُهان
حين تُسدّ المنافذ في وجهه فلا يجد
طريقاً ليصل إلى أيديهم ومن ثم إلى
بطونهم!

إنه اليوم يستغيث استغاثة أهل
غزة حين يُقذف معهم بالمدافع
الثقيلة والقنابل الحارقة



صرخات الأطفال

واستغاثات النساء
وعدوهم ببيدهم إبادة
الجماعية في غارات
وحشية ليس لها مثيل،
دون التفريق بين صغير
وكبير أو رجل وامرأة
أو شيخ وعجوز، فالكل
سواسية في هذه
الإبادة الحاقدة التي لا
يقرها شرع أو عُرف،
ولا يرضى بها دين أو
إنسانية سوية، فأين
حقوق الإنسان والمرأة

والطفل والحيوان؟!

وبينما تجتمع عائلاتنا على السفرة
بعد مدفع الإفطار، تجتمع كثير من
العائلات في غزة في قبورهم شهداء، أو
تحت الأنقاض والركام أمواتاً وأحياء، ومَن
ينج منهم لا يجدون للشعب والرّي سبيلاً،
ولا للأمن والدفع مكاناً! لا يجدون أسرة
ليجتمعوا معها على مائدة الإفطار،
ولا مسجداً ليصلوا فيه، ولا مستشفى
ليعالجوا فيه، ولا مدرسة ليلجؤوا إليها،
ولا مكاناً آمناً يرتحلوا إليه! بل إنهم
صائمون رغماً عنهم وإن كانوا من أهل
الأعذار المباح لهم الفطر! وإنهم يمارسون
الوصال في الصيام رغماً عنهم وإن كان
النهى قد ورد عنه، فلا يجدون جرعة ماء
ليتسحروا عليها في ظلمة الليل البهيم!

هذه حالتهم ومأساتهم وكأنها خيال،
وبينما يرفع الصائم منا يديه بدعاء
الصائم المستجاب، يرفعون هم أكفهم إلى
ربهم بدعاء المظلوم المتهور الواقع بفرجه،
فيقول الله تعالى لكل مظلوم: «وعزّتي
وجلالتي لأنصركَ ولو بعد حين» (رواه
الطبراني)، وصدق الله حين
قال: «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا»

(الطلاق: ٧).

**بينما ينطلق مدفع
إفطارنا لتحيا أبداننا
بتناول الطعام تنطلق بغزة
مدافع الغدر والإجرام**

**.. وبينما تجتمع عائلاتنا
على السفرة وقت الإفطار
تجتمع كثير من عائلات غزة
في قبورهم شهداء**

والصواريخ الموجهة؛ فيستشهد معهم وقد
اختلفت بدمائهم وتراب أرضهم الذي نبت فيه
ويُدفن شهيداً فيها تحت الأنقاض!

إنه يُهان حين يأكله الشعبان أو يلقي به
وببقاياها في سلة المهملات بينما لا يصل إلى
المحرومين في البلدان الفقيرة التي أنهكتها
الحروب فلا تجد بذرتة للنمو سبيلاً وقد
أفسدت تربته قسوة واعتداء وظلم الإنسان!

بين مدفع ومدفع:

وبينما ينطلق مدفع إفطارنا لتحيا أبداننا
وتتشط بتناول الطعام، تنطلق في غزة دون
توقف مدافع الغدر والإجرام من المحتلين
لتقتل منهم الأبدان وتخدم الأنفاس، فتعلو

المدرّب المتألق (2) السمات الشخصية الرئيسة

والتأثير في الآخرين.

ونضرب مثلاً لهذه النقطة بهذه القصة:
في يوليو ٢٠٠٣م، كنت في إحدى الأسواق
أشتري حاجات البيت من صابون ومواد
التنظيف، وبينما كنت أدفع بعربة التسوق بين
الأرفف، إذ ببائعة تروج لصابون «أومو»، وبدأت
حواراً معي:

قالت البائعة: صابون «أومو» أفضل صابون
في الخليج. (ثم رفعت علبة من الرف ووضعتها
في عربة التسوق دون إذن مني!).
قلت لها: أنا لا أستعمل صابون «أومو» في
بيتي. (قمت ورفعت العلبة من عربتي وأرجعتها
في مكانها).

قالت البائعة: يبدو أنك تجهل صفات هذا
الصابون، إنه يزيل البقع من الملابس المتسخة
بسهولة. (وسحبت العلبة من الرف للمرة
الثانية، ووضعتها في عربتي!).

قلت لها: سيدتي، نحن في البيت نستعمل
صابون «إيريال». (قمت ورفعت العلبة من
عربتي وأرجعتها في مكانها).

قالت البائعة: سيدي، صابون «أومو» أثبت
جدارة في دول الخليج على مدى عقود من
الزمن. (ثم قامت وسحبت العلبة من الرف
للمرة الثالثة، ووضعتها في عربتي!).

قلت لها: إن قرار شراء الصابون في بيتي

ويقوم المدير بتوجيه الموظفين نحو تنفيذ مهمات
معينة يطلبها منهم، وجاءت كلمة الهيمنة
والسيطرة من حرص هذا المدير على إنجاز ما
يطلبه من موظفيه بصورة يومية ودفعهم نحو
ذلك؛ فالمدرّب المتألق هو الذي يحرص على
سمة التوجيه والتطوير من أجل تنمية قدرات
المتدربين ومهاراتهم.

وليعلم المدرّب المتألق أنه ينبغي له ألا
يفرض رأيه على المتدربين، إنما يقنعهم بما
لديه من أفكار، ولهم أن يناقشوه فيها، ويأخذوا
ببعضها أو كلها، ولهم أن يرفضوها قاطبة وهو
أمر نادر، والنادر لا حكم له؛ حيث إن المدرّب
المتألق يبنّي قراراته على تقبّل معظم المتدربين
لأفكاره، ويسعى لإقناعهم بها، ويدرك أن قبول
واقتناع ٨٠ - ٩٠٪ من المتدربين لأفكاره يعتبر
تألقاً في عالم التدريب.

في حين لا يحزن لرفض عدد قليل من
المتدربين (بحدود ١٠٪) لأفكاره، بل يجلس
معهم بعد الدورة لمزيد من الإيضاح والنقاش
والحوار، وقد يقتنع ببعض أفكار المتدربين
فيأخذ بها.

٢- الإقناع والتأثير:

ينبغي أن تصل سمة الإقناع والتأثير إلى
حدها الأعلى لدى المدرّب المتألق، إذ إن من
سماته القدرة الفائقة على الإقناع



د. موسى المزدي

مدرّب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

إن اختبار الشخصية الذي يعرف باختبار
سمات تحليل الشخصية اختبار تم إعداده
من قبل شركة عالمية في بريطانيا معروفة
باسم «توماس إنترناشيونال»، وقد اعتمد من
قبل جمعية علماء النفس في بريطانيا، وهذا
الاختبار قد أنجز بناء على نظرية في علم
النفس تعرف بنظرية «DISC»، وتدور حول أربع
سمات للشخصية، هي:

١- التوجيه والتطوير:

ينبغي أن تصل سمة التوجيه والتطوير إلى
حدها الأعلى لدى المدرّب المتألق، أما عكسها
وهي سمة الهيمنة والسيطرة فينبغي أن تصل
إلى حدها الأدنى؛ إذ ليس من سمات المدرّب
المتألق الهيمنة والسيطرة على المتدربين، إنما
هذه هي سمة المدير الذي يدير شركة أو
مؤسسة تشرف على مجموعة من الموظفين،

المدرّب المتألّق يحرص على «التوجيه والتطوير» من أجل تنمية قدرات المتدربين ومهاراتهم

.. ويمتلك القدرة على الإقناع
والتأثير في المتدربين
واستعمال لغة الجسد مع
التنوع في نغمات صوته

استعمالها في خطبهم.

كما يحرص المدرّب المتألّق في إلقائه على أن تكون كلماته ملؤها الحيوية والنشاط والطاقة والحماسة، وتُطلق بصوت واضح يسمعه جميع المتدربين.

واليكّم هذه القصة: أخبرني صديقي الشيخ عبدالعال سيد أحمد من جمهورية مصر العربية، أنه اشترك في مسابقة ماليزيا العالمية للقرآن الكريم، وجاء ترتيبه الثاني على مستوى العالم، فباركت له فوزه، ودار بيني وبينه هذا الحوار:

قال الشيخ أحمد: هل تعلم ما الذي ساعدني على الفوز؟

قلت له: لا، ما الذي ساعدك على الفوز؟
قال الشيخ أحمد: كنت حريصاً -قبل أن أعتلي منصة التلاوة- على ترطيب أحبالتي الصوتية بشرية من ماء دافئ.

ثم قال الشيخ أحمد: هل تعلم أن الشيخ محمود خليل الحصري كان يخلط مع الماء الدافئ عسلاً، وأن الشيخ عبدالباسط عبدالصمد كان يأكل حبيبات من الزبيب ليزيد صوته حلاوة ونقاوة وطراوة ونداوة؟!

ولذلك، تؤكد أن المدرّب المتألّق هو الذي يجعل صوته واضحاً يسمعه كل المتدربين.

في مقالنا القادم سنتطرق، بإذن الله، إلى بقية سمات المدرّب المتألّق. ■



بيد زوجتي! (قمت ورفعت العلبة من عربتي وأرجعتها في مكانها).

قالت البائعة: أيعقل أنك لست صاحب

القرار في بيتك، إن قرار شراء الصابون في كل بيت قرار الزوج وليس الزوجة! (ثم قامت وسحبت العلبة من الرف للمرة الرابعة، ووضعتها في عربتي!).

قلت لها: إن كنت مصرّة على رأيك، تفضلي هذا هاتفني، اتصلي بزوجتي وأقنعها بتغيير نوع الصابون في بيتنا من «إيربال» إلى «أومو»! قالت البائعة: نحن هنا لا نتصل بالعملاء، بل العملاء يأتون إلينا ونقنعهم بشراء بضاعتنا. قلت لها: هذه قمة الهيمنة والسيطرة وفرض الرأي على الآخرين، اسمحي لي أن أرفع علبة الصابون من عربتي وأرجعها إلى الرف، وابحثي عن شخص غيري!

نستخلص العبرة من القصة السابقة أن المدرّب المتألّق يعلم أنه يستطيع جر الحصان إلى بركة الماء في مزرعته، ولكنه لا يستطيع إرغامه على الشرب منها!

كذلك، فالقدرة على الإقناع والتأثير تتطلب استعمال المدرّب المتألّق لغة جسده، والتنوع في نغمات صوته؛ إذ إنها تمثل ٩٣٪ من محتوى الرسائل التدريبية المراد توصيلها إلى المتدرب، أما الكلمات التي يسمعه المتدربون من المدرّب المتألّق فإنها تشكل ٧٪ فقط من محتوى الرسائل التدريبية المراد توصيلها إليهم، وعلى الرغم من كون نسبتها قليلة، فإنه يحرص على إلقائها بصورة معتدلة تطرب لها الأذان وتطيب لها النفوس.

إن أفضل إلقاء للمدرّب المتألّق هو الذي يكون بمعدل ١٢٠ - ١٤٠ كلمة في الدقيقة الواحدة، فما كان دون ذلك يجعل المتدرب في

حالة ملل وضجر، وما كان فوق ذلك يجعل المتدرب في حالة استغراب ودهشة.

وعليه، كذلك، أن يتجنب حشو الكلام في إلقائه؛ فيبتعد عن استعمال كلمات الربط بين العبارات، مثل: من الطبيعي، كما تعلمون، من الواضح، في الحقيقة، بصراحة.. ويستبدل بهذه الكلمات سككات زمنية تتراوح ما بين ثانية إلى ثانيتين، ويحرص على ألا تزيد على ذلك فإنها مجلبة للملل.

ولتأكيد هذه النقطة، نذكر هذه القصة: دُعيت في عام ٢٠٠١م لحضور مؤتمر في الهندسة عقد بمدينة مسقط عاصمة عُمان، وقد كنت حريصاً على سماع كلمة يلقيها شاب مهندس من البحرين حول الفرص الوظيفية للمهندسين في دول الخليج.

كانت مدة الكلمة ٥ دقائق، فمسكت قلماً بيدي لأكتب الأفكار الرئيسية، ولكنني لم أكتب أي فكرة.. لماذا؟ بسبب حشو الكلام الذي ملأ الشاب كلمته بها! فبدأت أحصي عددها، فهالني أن عددها بلغ ٨٥ كلمة حشو ما بين: «يعني، وآآ، وفي الحقيقة، وكما تعلمون، وبصراحة، ومن الواضح، ومن الطبيعي...»! لقد قتل الشاب كلمته بحشو الكلام، كان بإمكانه استعمال سككات قصيرة يربط بها أفكاره.

ولذلك، فإن المدرّب المتألّق يعلم أن الخطباء المفوهين عبر تاريخنا الإسلامي لا يستعملون حشو الكلام في خطبهم، وإنما جاءت هذه الظاهرة من دول الغرب، حيث يكثر من

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (2) صاحب البصمة الأولى



الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنائه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول. وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.



خاطري عند معايشة قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨). يقول العلامة ابن جرير الطبري عن تفسيرها: «البلد الطيبة تربته، العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحياة بإذنه، طيباً ثمره في حينه ووقته، والذي خبت خُفَّتْ تربته، وملحت مشاربه لا يخرج نباته إلا نكداً؛ يعني إلا عسراً في شدة»^(١).

فخالف سيرك المعوج وأعدل
فإننا إن عدلت معدلوه
أما تدري أبانا كل فرع
يُجاري بالخطى من أدبوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه^(٢)
ومن عالم الحيوان إلى دنيا الناس، حيث إن العقلاء يقررون أن الإنسان ابن بيئته، وأن الشيء من معدنه لا يُستغرب، دارت هذه المعاني في

الطاووس طائر يجمع بين الجمال والدلال؛ الجمال في هيئته، والدلال في مشيته، يتحرك بعزة وأناة، ويمشي بعُجْب واختيال، فقلده بنوه فسَطَّر الأصمعي شعراً يعتبر من روائع الأدب الرمزي:

مشى الطاووس يوماً باختيال
فقلد شكل مشيته بنوه
فقال علام تختالون؟ قالوا
بدأت به ونحن مقلدوه

الطفل الذي يتربى على الصدق وطلب الحلال سيكون له مع الله حال

حجر الأساس:

هذه حقائق ثلاث في هذا السياق، هي:
أولاً: عمارة الكون تكون بالإنسان الذي به
يتحقق منهج الاستخلاف في الأرض.

ثانياً: عمارة الإنسان تكون من خلال الأسرة
فهي البيئة الأولى وركن الزاوية وحجر الأساس.
ثالثاً: دور الأسرة سلباً وإيجاباً في توجيه
الناشئة والحفاظ على نقاء الفطرة ليل نهار أو
الانحراف بها إلى شفا جُرف هار.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ
وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ
رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا
وَوَلَدُهُ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وغريب أمر الوالدين اللذين أهملوا وقصّروا
في تربية الأولاد، فوكلاً أمرهم إلى من لا يجيدون
صنعاً ولا يقومون معوجاً، إهمال.. نعم ولو كان
وقتياً، لقد جعل أغلب الناس علاقاتهم بالأولاد
علاقة طعام وشراب وكساء، أما الرواء العاطفي
واليد الحانية والتوجيه والتعليم فيشتكي اليتيم في
دنيا الناس، وفي تاريخنا الإسلامي نماذج مضيئة
نستلهم من مواقفها التربوية دروساً وعبراً للأباء
والأمهات لتكون لهم تبصرة وذكرى. ■

الهوامش

- (١) أرشيف ملتقى أهل الحديث (١٢٥ / ٢٣٤).
- (٢) تفسير الطبري (١٢ / ٤٩٥).
- (٣) في ظلال القرآن (٦ / ٣٧١٧).
- (٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٨).
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) تحفة المودود بأحكام المولود (٢٩٩).
- (٧) صحيح البخاري (٥٢٠٠).

عمارة الإنسان تكون من خلال الأسرة فهي البيئة الأولى وحجر الأساس

فقال ابنه عليّ: يا أبت، إن الحلال عزيز، فقال:
يا بني، وإن قليله عند الله كثير^(١)، والطفل الذي
يتربى على الصدق وطلب الحلال حتماً سيكون له
مع الله حال.

ظل الفضيل يربي ولده علياً ولكنه مُعْرَض
عنه، فاستعان بالله وظل يدعو له لمدة ثلاث
سنوات وكان يقول في صلاته: «اللهم إني
اجتهدت في تربية عليّ فلم أقدر فربيّه أنت لي»؛
فتحول بفضل الله إلى آية في الزهد والعبادة،
وكان يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت
إلى أبيه فيقول: يا أبت، سبقني المتعبدون، ومات
وهو ساجد في الصلاة، وكان أبوه يقول: رحم
الله حبيبي من كان يعينني على الزهد والعبادة،
هذه ثمرة طيبة لهذا الغرس المبارك الذي غرسه
الوالد بيده فائتم وأورق، ولا عجب حينئذ عندما
يقول عبدالله بن المبارك: «خير الناس الفضيل بن
عياض، وخير منه ابنه عليّ»^(٢)، فصالح الفرع من
طيب الأصل.

رسالة للربي:

أنت صاحب البصمة الأولى في حياة ولدك.
أنت أول من تُسَطَّرُ بأناملك الكريمة ملامح
شخصية ولدك.
أنت أول من توقّع في دفتر وجود ولدك،
فولدتك نسخة عن سلوكك.

أنت أول من يبذر في أرضه بذور الفضيلة.
فيايك أن تأمره بالصدق وأنت كذاب على
وزن فعّال، أو توصيه بالأمانة وأنت خائن على
وزن فاعل، وإياك أن تضع في الميزان ما تخجل
منه أمام الديّان.

فمن المسلّمات أن الطفل الصغير هو
المستقبل بنفسه والتاريخ بعينه، فعلى ولي أمره أن
يتقي الله فيه، وأن يجعل حوله سياجاً من التربية
والتهذيب: «فإن أكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من
قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض
الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا
بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً»^(٣).

الرجل الصالح يُحفظ في ذريته بسبب حسن التربية والتهذيب والتوجيه

إحياءات القرآن الكريم ودلالاته:

من الإحياءات القوية والدلالات العميقة التي
تومئ إلى هذه المعاني السابقة قول الله تعالى:
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّاراً ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلِمُونَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا
إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح)، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢)، ﴿وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَمَا أَلْتَأَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).

في الآية الأولى دليل على أن الحية لا تلد إلا
حُيَّة، وأن الأصل المعبود لا يُسْفَر عن أثر خالٍ
من العيوب، «فقد أُلهم قلب نوح أن الأرض تحتاج
إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص
الذي انتهى إليه القوم في زمانه، وأحياناً لا يصلح
أي علاج غير تطهير وجه الأرض من الظالمين؛
لأن وجودهم يجمّد الدعوة إلى الله نهائياً، ويحول
بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين، ثم إنهم
يوجدون بيئة وجواً يولد فيه الكفار، وتوحي بالكفر
من الناشئة الصغار بما يطبعهم به الوسط الذي
ينشئه الظالمون، فلا توجد فرصة لترى الناشئة
النور من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي
صنعوها»^(٣).

وفي الآيتين الثانية والثالثة دليل أكيد على
أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته بسبب حسن
التربية والتهذيب والتوجيه، وتشمل بركة عبادته
لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع
درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة يوم القيامة
لتقر عينه بهم.

بين الفضيل وولده:

الفضيل بن عياض قامة من القامات، وسيد
من السادات ذاع صيته في الزهد والورع، وسطع
نجمه في هجر الحرص والطمع، كان قدوة
صالحة لولده، رباه من طفولته على كريم الخصال
قبل أن يبلغ مبلغ الرجال، قال له يوماً: لم يتزين
الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال،

متلازمة النقد!



كنت غير مقتنعة! نعم كنت أتمنى أن أصل إلى الصورة التي يتمناها.

لم يكن سلوكه هذا في بداية تعارفنا يمثل مشكلة لي، خاصة أنه كان يسعدني جداً بإشاداته بي في حضور أي إنسان خاصة أهله، ثم أجد له أي امتعاض أو عدم ارتياح لانتقاده الدائم لي! كنت فعلاً سعيدة بذلك، وكنت أبرر انتقاده لي بحرصه علي، خاصة أنه كان عريساً بكل المقاييس تتمناه أي فتاة! وعندما كنت أخلو بنفسني كانت تحدثني عن ظاهرة كثرة انتقاده، فكنت أقول في نفسي: سيتغير بعد الزواج، وإنني باستجابتي لانتقاده ستزول الأسباب التي تجعله ينتقدني، ولكن لا.. فهمما بذلت وحاولت أن أتوافق مع متطلباته لأمنع أو حتى أقلل انتقاده الدائم لي، إلا أن لديه رصيداً لا ينفد من الانتقادات.

تزوجنا وزادت المساحة المشتركة بيننا، وتضاعفت معها الانتقادات، لا يترك شيئاً: زينتي، لباسي، حديثي، حتى وهو يغازلني أو أثناء العلاقة لا يعجبه طريقة تفاعلي معه: «ليتك تقولني كذا ولا تقولني كذا...» أما البيت فانتقد ولا حرج حتى علاقتي مع الأولاد!

رغم أنني والحمد لله، بشهادة الجميع، على خلق ودين وقدر من الجمال والرقى، فإنه كثيراً ما يقارن غيري بي، هذه المقارنة تؤلني وأشعر بظلم وإحباط شديد، خاصة أن من يقارنني بها أقل مني جمالاً أو ليست على خلق ودين.

لقد مرت علاقتي بزوجي بمنعطف خطير، فبعد أن كنت أقبّل انتقاداته بكل حب ورغبة صادقة في الاستفادة منها، وطبعاً كنت أعطيه دون حدود، لكنني أيقنت أنه لا نهاية لانتقاداته، ولا أمل لي أن أسمع كلمة ثناء أو تشجيع منه، فجأة وجدتني وقد خارت قواي وليس لدي أي رغبة في البذل، لم يعد حلمي أن أسمع ثناء ولو حتى مجاملة، بل لا أسمع انتقاداً، لم تعد لدي رغبة في أي شيء، فقط أقوم بالحد الأدنى لمتطلبات البيت، حتى علاقتنا الخاصة، لا أمتنع عنه خوفاً من الله، ولكن مجرد جسد دون روح، ملته والحياة، ولولا وجود ثلاثة أولاد لا ذنب لهم يحتاجون للرعاية لما ضحيت بعمرى وظللت معه.

أستاذي الفاضل، هذه مشكلتي، بل حياتي، هل لي من مخرج من بوتقة النقد؟

زوجي كريم يغمرنى بحبه وعطفه وحنانه، كذلك معي «كارت» البنك أشتري كل متطلبات البيت وما أحجاجة لي شخصياً حتى هدايا لأهلي وصديقاتي لا يراجعني في شيء، وهو أب مثالي رعايته للأولاد واهتمامه بهم مضرب المثل، لا يدخر جهداً أو مالاً لحسن تربيتهم، حريص على صحتهم له للمسجد والنادي رغم مشاغله الجمّة.

دائم الإشادة بي في أي اجتماع عائلي أو حتى مع أصدقائه؛ لذا فكل من يعرفوننا يثنون عليه ويدعونني بالمحظوظة!

مهلاً سيدي، لا ترم رسالتي بالمزيلة لن أطيل عليك، رغم هذه الصورة الوردية التي يظهرني بها زوجي في حديثه عني مع الآخرين، ولكنه يبني وبينه دائم الشكوى مني على أقفه الأسباب، وعنده عدم رضا باستمرار، فلا أسمع منه كلمة ثناء واحدة! دائم الشكوى من أي تصرف لي، فمنذ اللحظات الأولى لتعارفنا بدأ انتقادي، واعتبرت أن تلك ميزة! فهو صريح واضح، وكنت عادة ما ألبى طلبه، حتى لو أنني



د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

سأزدي الفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قد تعجب من مشكلتي ككل من شكوتها لهم، بدءاً من أمي وإخوتي وأقرب صديقاتي! ولكنني أتألم، فهل أجد لديكم أدناً صاغية، وقلباً يستشعر معاناتي، ويساعدني على الخروج من حالة الكآبة والحزن التي تلازمني؟! سأبدأ بزوجي؛ وهو سبب تعاستي، نعم

زوجي دائم الشكوى مني لأتفه الأسباب وانتقادي على أي تصرف فلا أسمع منه كلمة ثناء!

كنت حريصة على إرضائه، وهذه قيمة كبيرة يجب أن يحرص عليها كلا الزوجين، ولكن كيف؟ من المؤكد أن أحرص على تحقيق رضا زوجي، ولكن دون أن يكون لذلك أثر سلبي على نفسي، يمكن أن يحدث ذلك على فترات متباعدة إذا كان الزوج بظروف طارئة، وعندما يعود لحالته الطبيعية يكون ممتناً لزوجي ويعوضه خيراً، أما أن يكون هذا ديدن الحياة الزوجية، كما وصفت، فمن المؤكد أن التراكم اليومي لحالة الكبت مع عدم القدرة على تخيل التغيير يصيب الإنسان باليأس والإحباط، كما ذكرت.

هذه البيئة غير الصحية لها آثار سيئة، ليس عليك فقط، ولكن أيضاً على الأولاد، وأتوقع كذلك زوجك، وإما أن تنفجر العلاقة بينكما نتيجة طبيعة للتوترات والتراكمات النفسية التي يعيشها كل منكما، وإما أن يسقط أحدهما بمرض نفسي أو عضوي. كما أنني أتوقع من خلال رسالتك أنك تعاني حالة من الاكتئاب تحتاج إلى تشخيص قبل أن تتفاقم.

(لزوجتي)، فلا يمكن أن أملكه نفسي، «وأعطيه شيئاً على بياض»؛ «أنا أحبك مهما بدا منك!» من أهم أحد أهم أسباب المآسي في الحياة الزوجية الحب المطلق، لأنه يعطي للمحبوب غروراً يطغيه، ويجعل المحب حساساً؛ لأنه أعطى كل شيء، فمتوقع المثالية من محبوبه، وهذا خيال، كما أن طبيعة البشر المتغيرات.

لذا؛ عدم إظهار رفضك لانتقاداته المستمرة، بل إبداء سعادتك أكد له خنوعك وأعطاه كل الحق في التماذي.

«كنت أقول في نفسي: سيتغير بعد الزواج»، مقولة، بل أمنية وحلم الجميع في فترة الخطبة! ولكن هيهات؛ لذا يجب على كل طرف بيان عدم قبوله لأي تصرف، وبناء على مدى تأثير هذا السلوك على حياته الزوجية المرتقبة، يتأكد من أنه تم تغيير فعلي بناء على قناعات راسخة، وليس مجرد وعد بالتغيير.

أيضاً بعد الزواج وزيادة مساحة التفاعل بينك وبين زوجك، ورغم زيادة معدل انتقاداته،

دعونا في البداية نقيم هذا الزوج ولنبدأ بإيجابياته من خلال ما ذكرته صاحبة الرسالة:

- زوج كريم، وأنا أرى أنه كريم جداً مادياً، ورغم أنه كريم أيضاً معنوياً، فإن أسلوبه الانتقادي سيئ أيضاً جداً.
- زوج يحافظ على صورة زوجته، ورغم رأيه السلبي فيها، فإنه يذكرها بخير.
- أب لا يدخر جهداً في تربية أولاده، وهذه قيمة عظيمة.

أما سلبياته، فهو دائم النقد؛ «فمنذ اللحظات الأولى لتعارفنا بدأ انتقادي، واعتبرت أن تلك ميزة! فهو صريح واضح وكنت عادة ما ألبى طلبه، حتى لو أنني كنت غير مقتنعة!»، «لم أجد له أي امتعاض أو عدم ارتياح لانتقاده الدائم لي! كنت فعلاً سعيدة بذلك».

دائماً ما أركز على فترة الخطبة وبيان أهميتها في سلوكيات الزوجين، ويجب أن يوضح كل طرف ما لا يعجبه في الآخر وما يتمناه، وبناء على مدى استجابته للنموذج الذي يتمناه يقرر الاستمرار أو الاعتذار.

كان زوجك صريحاً واضحاً، وأنت تقبلت نقده منذ اللحظات الأولى لتعارفكما، كما ذكرت، بسعادة، ولم تُبدي أي اعتراض، مما أعطاه كل الثقة في أن أسلوبه مقبل، بل مرحّب به، كما أنك كنت تنفذين انتقاداته دون مراجعة، حتى لو لم تكوني مقتنعة! خوفاً أن تضيعي عريساً تحلم به أي فتاة!

وسؤالي لك (ولكل فتاة وشاب): كيف هانت عليك نفسك لهذه الدرجة؟ أنت ساهمت بالقدر الأكبر فيما وصلت إليه علاقتكما، لعل لا أترك مناسبة إلا وأؤكد أن «الخطبة ليست وعداً بالزواج»، وأنه دون إهمال للجانب العاطفي يجب أن أدير هذه المرحلة من حياتي بمنتهى العقلانية، وأن أتحكم في مشاعري وأقيم الزوج (الزوجة) المحتمل بكل موضوعية.

أيضاً؛ مهما بلغ مقدار حبي لزوجي





الحل

زوجك ولله الحمد به محاسن جيدة: كرم وإشادة بك أمام الغير، وأب مثالي، ألا يستحق ذلك الاجتهاد والبذل لتعديل سلوكه الذي لا يروق لك؟ من المؤكد أنه يستحق، إذن كيف؟

أخلصي النية لله، واجتهدي بالدعاء أن يوفق بينكما الله تعالى.

رتبي لرحلة إلى مكان هادئ ويكون للأولاد ما يشغلهم، وابدئي حديثك بحبك له والإشادة به، وأنت متأكدة من حبه لك وحرصه على سعادتك، كما أنك تبدلين كل طاقتك حتى تحقق ما يسعده منك، ولكن، للأسف، انتقاده لك يشعرك بالألم. ذكره بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» (رواه أبو سعيد الخدري، صحيح)، وقول أنس بن مالك: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ

عدم إظهار رفضك لانتقاداته بل إبداء سعادتك أكد له خنوعك وأعطاه كل الحق في التماذي

الاتفاق على مراحل التغيير والوصول إلى ما يتمناه منك وابدئي بمعالجة انتقاده لذاتك أولاً

لِي قَطُّ: لَمْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئاً قَطُّ» (صحيح مسلم).

أسأليه عن كل الموضوعات -طبعاً- تكتبين كل ما يتفق عليه- ماذا يتمنى منك؟ وعليك التعديل على رأيه إن وجدت خيراً منه حتى تتفقا على الصورة الذهنية التي يتمناها منك.

كما يتم الاتفاق على مراحل التغيير والوصول إلى كل ما يتمناه منك، فليس

من المنطقي أن فجأة ستحققين كل التغيير المطلوب، أرى أن تبدئي بمعالجة انتقاده لذاتك أولاً قبل كل شيء. أما بخصوص مقارنتك بأخريات، فيبني له: «أنا لا أقبل مقارنته بأي رجل، لأنك أنت زوجي أنا، والآخر لا قيمة له عندي ولا يخصني، فكيف تقبل مقارنتي وأنا زوجتك مقارنتي بامرأة أجنبية؟» ابحثي في السبب، فقد يكون لهذه المرأة سلوك طيب أو محسنة.

كما يتم الاتفاق على أن يشيد بك على أي تغيير تبدلينه، ويتوقف عن انتقاداته، أيضاً من جانبك يبني له ما لا يروق لك منه خلاف انتقاده لك.

كما أود أن أوضح، فعلاً هناك أفراد يبحثون دائماً عن الأمثل، وأن هناك دائماً ما هو أفضل، وأي عمل مهما بلغ من الحسن فيمكن أدائه بأحسن مما تم به، فعليك الصبر والاحتساب. ■

التفكك الأسري على الطريقة الحديثة!



منى عبدالفتاح

للهولة الأولى، يظن القارئ أن التفكك الأسري هو الطلاق فقط، وما يستتبعه من خراب البيت، ودمار الأسرة، وتشريد الأبناء، وانتقال الخلافات إلى ساحات وأروقة المحاكم. لكن الواقع الجديد فرض علينا أشكالاً وصوراً غريبة من التفكك الأسري، تخالف ما تعارف عليه الناس، وتتطوي على أخطار جمة، كونها أنماطاً غير مألوقة، طالتها «الموضة» و«الحداثة» في أسوأ صورها ومظاهرها.

صور جديدة من التفكك داخل الأسرة الواحدة، فرضتها تطورات العصر، والتسارع التقني والتكنولوجي الهائل، منها أسر تدير شؤون حياتها عبر تطبيق «واتساب»، حيث لا يجتمع الأب المنهمك في عمله بأبنائه، الذين يسهرون ليلاً وهو نائم، وينامون نهاراً، بينما يستيقظ هو للذهاب إلى العمل، حتى باتت إشعارات التطبيق التكنولوجي الرابط بين أفراد الأسرة، الذين يجتمعون فقط في العالم الافتراضي، دون لقاء حقيقي تغمره المودة والألفة.

ومن مظاهر التفكك الأسري حديثاً، التي تسلمت إلى بيوتنا عبر المسلسلات والأفلام الهابطة، نوم الزوج والزوجة في غرفتين منفصلتين، بدعوى الاستقلالية، وأن النوم المنفصل يؤدي إلى نوم أعمق وأكثر جودة، ويطلق عمر الحب والشوق بين الطرفين، وهي أكاذيب لم تجلب سوى المزيد من الخراب والتفكك للأسرة المسلمة.

وقد تطور الأمر حديثاً إلى محاولة إشاعة ما يعرف بـ«الإجازة الزوجية»: أي الابتعاد المؤقت بين الزوجين، بالاتفاق بينهما، بدعوى كونها خطوة لكسر الروتين وشحن الطاقة وتجديد نار الحب! دون النظر إلى آثارها السلبية، وإمكانية فتح باب الخيانة الزوجية، أو أن يظن أحد الطرفين أن حياته أفضل، وأكثر راحة دون مسؤولية، فتكون نتيجة هذه الإجازة هي الانفصال والطلاق.

لكن الأخطر والأكثر اشمئزازاً، ما روجته الثقافة الغربية ومنظمات حقوق المرأة، من مصطلحات دخيلة علينا، ومدمرة للأسرة، من نوعية «الاعتصاب الزوجي»، والدعوة إلى سن قوانين تبيح امتناع الزوجة عن زوجها، وهو ما نقل

إلكترونية، أو يقع في براثن عصابات النصب والاحتيال.

نحو ٣٢% من الفتيات المراهقات أقررن بأنه عندما شعرن بالسوء تجاه أجسادهن، فإن «إنستجرام» كان السبب، في تأكيد على الآثار الضارة لتلك التطبيقات على النساء، وفق دراسة نشرت نتائجها صحيفة «وول ستريت جورنال».

ويبدو التفكك الأسري في صور أخرى تختلف من مجتمع إلى الآخر، بين زوج يقضي معظم وقته على المقهى، وزوجة تضيق وقتها في الثرثرة مع صديقاتها، فضلاً عن الإفراط في متابعة التلفاز ووسائل التواصل، فيضيع الوقت، وتختل المسؤوليات الأسرية، وبالتالي يقع الخلاف، ويحدث الشجار، وربما تبادل العنف اللفظي والبدني، انتهاء بالانفصال والطلاق.

ومن أخطر صور التفكك في بعض المجتمعات العربية، التخلي عن واجبات الأمومة والأبوة لصالح العمالة المنزلية الذين يتولون مهام الطهي والنظافة وقيادة السيارات، واصطحاب الأبناء إلى المدارس، ومتابعة تحصيلهم الدراسي، والعناية بهم والسهر على صحتهم، واللهم معهم! ما تسبب في تفكك أسري مكتوم وراء علاقة زواج مستمرة بالفعل، لكن طرفيها لا يقومان بواجباتهما تجاه أبنائهما على أكمل وجه.

إن صور التفكك الأسري الحديثة، التي غزت أسرنا ومجتمعاتنا، لها خطورة الآثار والنتائج، خاصة عند النظر إلى ارتفاع معدلات الطلاق في عالمنا العربي، وهو ما يستوجب تطوير الخطاب والأليات والأدوات لتحقيق المزيد من اللحمة الأسرية، وتثبيت أركان الاستقرار التي تواجه ربحاً عاتية من مظاهر التفكك المبتدعة في القرن الحادي والعشرين. ■

علاقة السكن والمودة والرحمة، وفق توصيفات القرآن الكريم، إلى ساحة الجدل والخلاف والقضاء.

وتتعدد صور التفكك الأسري فيما نشاهده عبر منصات مقاطع الفيديو، حيث تقع الزوجة وأطفالها أسيرة لهوس وإدمان مقاطع «تيك توك»، و«ريلز»، و«سناب شات»... وغيرها، وقد تصبح هي صانعة محتوى؛ فتصور حياتها، وتستغل أطفالها، وتكشف عن خصوصيات بيتها، فتضع الأسرة بأسرها في مهب الريح، عرضة للحسد والقال والقبل، وساحة للخلاف الزوجي، أو أن تتحول إلى طاولة قمار للربح المادي، فتفقد الأسرة حصانها ومناعتها وتماسكها، أمام فتن وسائل التواصل.

ويطال الخطر أطفالنا، وقد وقعوا تحت أسر «أزرار» تنقل لهم كل ما هو غريب ومثير وعنيف، وقد تنزلق بهم إلى مستنقع الفتن والشهوات، فيصبح الهاتف الذكي بديلاً عن الأب والأم، وتصير مواقع الإنترنت ووسائل التواصل المائدة التي يجتمع عليها الطفل كل يوم، بل كل ساعة، بديلاً عن الاجتماع الأسري لتناول الإفطار والغداء والعشاء معاً، مقارنة بما كانت عليه الحال في عهد الآباء والأجداد.

وتزداد التأثيرات السلبية مع تنامي الهوس بـ«فلاتر التجميل» التي تقلل من احترام الذات والثقة بالنفس، الأمر الذي يُشعر مدمني تلك الفلاتر بعدم الرضا عن حياتهم، ومن ثم التذمر منها، أو إطلاق حمى المقارنات بين هذا وذاك، فتضيق النفس، وتتولد المشاعر السلبية، وقد يشمئز الزوج أو الزوجة من شريك حياته، حينما يبحث عن معايير الجمال المصطنعة التي أتاحها الفلاتر، ويتورط في علاقة افتراضية، أو خيانة

مصلحون رحلوا في مارس..

عبد دسوقي
باحث في التاريخ الحديث

الخاطر والعماري والواعي

رغم ما في الحياة من دروب، فإن الله تعالى سخر لعباده من يمهّدون لهم سبلها، ويعبّدون الطريق أمامهم، ويشعلون لهم منارات يهتدون بها، وفي مقدمتهم الأنبياء المصطفون، ومن بعدهم العلماء والمصلحون الذين يجود الزمان بهم دائماً. وفي مارس رحل عن دنيانا بعض من هؤلاء العلماء والمصلحين، منهم:

و«جائزة الدولة للعمل الوطني» عام ١٩٩٢م، و«وسام المؤرخ العربي من اتحاد المؤرخين العرب» عام ١٩٨٧م. ظل يجمع بين الدعوة الإسلامية والفكر والشعر حتى فاضت روحه لبارئها عن عمر ناهز ٦٨ عاماً، مساء الخميس ٥ المحرم ١٤٢٢هـ / ٢٩ مارس ٢٠٠١م بمدينة الرفاع بالبحرين^(١).



عبد القادر العماري..
القاضي الشيخ

يعد الشيخ القاضي عبدالقادر بن محمد بن عمر العماري من أبرز علماء قطر والخليج العربي، رغم أنه من مواليد مدينة الشحر بمحافظة حضر موت باليمن، عام

بالبحرين، وذلك بفضل موهبته التي حباه الله بها في الأدب والشعر، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وكان عضواً بمجلس الأوقاف السنية، لحرصه على كل ما هو إسلامي؛ وهو ما دفعه للانخراط في أنشطة جمعية الإصلاح بالبحرين للعمل من أجل الإسلام والدعوة إليه.

شكل المفكر الخاطر ظاهرة متفردة بدءاً من حقبة الستينيات، حيث كان له دور بارز في إثراء الحياة الأدبية والفكرية، ليس في البحرين فحسب، وإنما على مستوى الخليج العربي بأكمله، وذلك من خلال مساهماته التي فتحت آفاقاً جديدة للباحثين والدارسين لتاريخ وحضارات المنطقة.

لقد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات، مثل «المسرح التاريخي في البحرين والخليج»، و«التعليم الأهلي في الخليج ما قبل التعليم الحديث».. وغيرهما. ويعد الخاطر شاعراً مجدداً، في شعره نزعات تأملية واستبصار لما في الحياة من معانٍ وجدانية، على نحو ما نجد في قصيدته «يكفيني يا عمر» التي يستلهم فيها المأثور. وقد حصل على جوائز عدة وأوسمة وشهادات تقدير، منها: «جائزة الدولة التقديرية في الأدب والإنتاج الفكري»،



مبارك راشد الخاطر..
الشاعر والداعية

ولد الشاعر والأديب والمفكر والداعية مبارك راشد جاسم الخاطر في مدينة المحرق بالبحرين في عام ١٩٣٥م، وحرص والده على إلحاقه بالتعليم المتمثل في ذلك الوقت بالكتاتيب، قبل أن ينتقل لمدرسة الهداية الخليفية بمدينة المحرق، ثم توج ذلك بحصوله على دبلوم التجارة.

عمل بعد إتمام دراسته بإدارة المحاكم في وزارة العدل والشؤون الإسلامية، ثم في إدارة الأوقاف، قبل أن ينتقل للعمل في وزارة الإعلام، وظل بها حتى عام ١٩٩٤م حيث تقاعد فيه.

لم يقتصر على ذلك، بل كان عضواً في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

د. توفيق الواعي.. الداعية المربي



عام ١٩٦٩م، وعضواً في المؤتمر القومي الإسلامي، وعضواً في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضواً وباحثاً في الموسوعة الفقهية بالكويت، ورئيساً للجنة تطوير مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية الكويتية، وباحثاً في موسوعة البحوث القرآنية في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وعضواً في اللجنة الثقافية بقسم العقيدة والدعوة بكلية الشريعة - جامعة الكويت، وعضواً في لجنة الأبحاث وتطوير المناهج بذات الكلية.

توفي د. الواعي يوم السبت الموافق ١٦ مارس ٢٠١٩م، عن عمر ناهز ٨٩ عاماً، بعد عمر حافل بالعطاء الدعوي والأكاديمي، وتم دفنه في مقبرة الصليبيخات بالكويت^(٣).

الهوامش

- (١) مبارك راشد الخاطر المؤرخ- الأديب.. والشاعر الداعية: رابطة أدباء الشام، ١٧ سبتمبر ٢٠٢٠م.
- (٢) رمضان: وفاة الشيخ عبدالقادر العماري أحد رموز العلم والقضاء في قطر والخليج، مجلة «المجتمع»، ٢٥ مارس.
- (٣) توفيق الواعي: موقع «إخوان ويكي»، ١٧ مارس ٢٠١٩م.

كلية الشريعة في جامعة الكويت. تعرف إلى دعوة الإخوان المسلمين في وقت مبكر، وقد أحيل إلى القضاء العسكري في عهد حسني مبارك عام ٢٠٠٦م -رغم تواجده في دولة الكويت منذ عام ١٩٧٢م- بتهمة الانضمام لجماعة الإخوان المسلمين وتمويلها، وتم الحكم عليه في أبريل ٢٠٠٨م بالسجن لمدة ١٠ سنوات غيابياً، بعدما حصل على البراءة ٣ مرات من القضاء المدني الطبيعي!

كان د. الواعي ذا همة عالية ونشاط دعوي واسع سواء داخل دولة الكويت أو خارجها، حيث كان عضواً وباحثاً في موسوعة الفقه الإسلامي في القاهرة

رئيس محكمة الاستئناف، وأمضى أكثر من ٣ عقود في القضاء الشرعي. كان للشيخ العماري حضور ومشاركات في المجمع الفقهي، ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدّة، كما شغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.

اختير عضواً في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وارتبط مع د. يوسف القرضاوي بعلاقة خاصة من نوعها؛ فكان يصاحبه في ندواته ومشاركاته الفقهية أينما حل، كما أن له الكثير من المؤلفات القيمة، ورحل الفقيه القاضي العماري عن عمر ناهز ٨٦ عاماً، يوم الخميس ٢٥ مارس ٢٠٢١م^(٣).

في قرية دماص بمركز ميت غمر التابع لمحافظة الدقهلية بمصر، ولد د. توفيق يوسف علي الميتميش، الشهير بتوفيق الواعي، عام ١٩٣٠م، حيث حظى بفرصة في التعليم الأزهرى الذي تخرج فيه واستمر حتى حصل على الماجستير بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف عام ١٩٧٨م، كما حصل على درجة الدكتوراة في الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة عام ١٩٨٤م، وعلى درجة أستاذ مساعد عام ١٩٩٢م، ثم على درجة أستاذ بكلية الشريعة عام ٢٠٠٠م.

سافر إلى الكويت في وقت مبكر عام ١٩٧٢م، حيث عمل ككادر جامعي حتى أصبح رئيس قسم العقيدة والدعوة في

١٩٣٥م، حيث كانت بداية تعليمه على يدي والده الشيخ محمد بن عمر العماري، وأخذ عنه الفقه الإسلامي وعلوم اللغة العربية، قبل أن يسافر إلى الخرطوم ويلتحق بكلية الحقوق بجامعة الخرطوم، ودرس في قسم الشريعة، وتخرج فيها عام ١٩٥٧م.

كان والده قاضياً، حيث تولى القضاء بمدينة الشحر عام ١٣٣٧هـ، ثم قضاء المشقص عام ١٣٥٧هـ، وورث ابنه القضاء عنه، حيث عمل بعد عودته بالقضاء في الشحر والمكلا، وعرف عنه العدل والوقوف أمام الظلم وفعل الخير.

هاجر إلى قطر عام ١٩٦٩م، وعين قاضياً في المحكمة الشرعية، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب نائب

قطار العالم الإسلامي!

أن يقطع تذكرة واحدة، يجول فيها بين دول الإسلام من جاكارتا إلى نواكشوط، يمتّع ناظره بثقافات عديدة ولغات متنوعة، لكن يربطهم دين واحد، ويتجهون إلى قبلة واحدة.

ليس صعباً على المسلمين تحقيق هذه الرؤية، والعودة بمجد الإسلام التليد إلى الصدارة بين الأمم، لكن الجهود المطلوبة لذلك كبيرة، والتحديات والصعوبات عظيمة.

ومفتاح النجاح هو الالتزام بهذا الدين العظيم، الذي تتحقق به تلك الرؤية، فكلما عاد المسلمون إلى دينهم توفرت لهم أسباب الوحدة والعزة والتمكين، وكلما ابتعدوا عنه تسلطت عليهم أنواع الشرور والأفات، كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم».

كما قال الشاعر:

إِنَّ دِينَ اللَّهِ حَقٌّ وَبِهِ تَنْجُو السَّفِينُ
وَبِهِ تَحْيَا نَفُوسٌ وَبِهِ تَجْلَى دُجُونُ
وَبِهِ سَيَسَتْ بِلَادٌ وَبِهِ رِيضَتْ خُصُونُ
وَبِهِ تَرْجِعُ أَرْضٌ بَعْدَ مَا كَادَتْ تَهُونُ

من حق المسلمين أن يحلموا بوحدة إسلامية يسير فيها الراكب بين بلدان المسلمين بتذكرة واحدة، وأحلام اليوم حقائق الغد.

اللهم اجمع كلمة المسلمين، ووحد بين قلوبهم، وردهم إلى دينك رداً جميلاً. ■

والأنصار في المدينة. إن هذه النصوص من الآيات والأحاديث، وغيرها، تقتضي أن يسعى المسلمون للاجتماع والتكامل، وأن ينبذوا الأحقاد التاريخية والرايات العنصرية، وحينما قاموا بذلك في تاريخنا الإسلامي؛ تحققت القوة لدولة الإسلام، وقادت العالم ٥٠٠ سنة منفردة، وشاركت غيرها من الدول في قيادة العالم ٥٠٠ سنة أخرى؛ نعم إنها ١٠٠٠ سنة من القيادة والريادة لدولة الإسلام.

إِسْلَامُنَا دَالِيَاتُ الْحُبِّ دَانِيَةٌ
فِي ظِلِّهَا لِأَسِيرِ الْحَرْبِ إِكْرَامُ
لَوْحَاتُ أُمَجَادِنَا يَزْهُو الْوُجُودُ بِهَا
قَدْ طَرَزَتْهُ بَنَانُ الدَّهْرِ رَسَامُ

هذا الواجب الشرعي المضيق له أثر عظيم على أحوال المسلمين؛ في تقدمهم وتأخرهم؛ لأن الأمة تتقدم وتقوى بمقدار التزامها بهذه الفريضة (الوحدة) الضرورية في هذا الزمان، خاصة العمل على توحيد الأمة الإسلامية فكرياً وتشريعياً وسياسياً.

حينها ستبديل أحوال القضايا المصيرية للأمة، وعلى رأسها قضية القدس والمسجد الأقصى؛ سنرى قوة الجناح، وعزة الموقف.

سيعود المسلمون إلى التركيز على تحقيق المصالح الكبرى، وسيتعالون على العنصريات والطبقيات وغيرها من سفايف الأمور التي تفرق ولا تجمع.

ما أعظمها من رؤية تلك التي تتوحد فيها الدول الإسلامية! ويستطيع الزائر لها

تتنافس الأمم والشعوب على القدرة على التوحد والتكتل لتتبوأ مكانة متميزة في عالم مليء بالأخطار والتحديات، وأبرز مثال في زمننا المعاصر الاتحاد الأوروبي، ومن نتائج هذا الاتحاد جواز «EURAIL»؛ وهو جواز سفر بالقطار للسفر إلى ٢٨ دولة أوروبية.

ألا يحق للدول الإسلامية أن تفكر بمنافسة الاتحاد الأوروبي وغيره من الاتحادات والتكتلات حول العالم لتبني مشروع وحدة يحقق لها أسباب القوة والتمكين، خصوصاً أن لديها الكثير من مقومات الاتحاد والوحدة؛ فدينها واحد، ورسولها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة؟!

إن تلك اللحظة التي تتحقق فيها الوحدة بين الدول الإسلامية تتعاضد فيها نتائج النجاح، وتتلشى فيها معالم الفشل والخسارة؛ فالاتحاد قوة.

والوحدة الإسلامية واجب أمر الله تعالى به، وجعله وصفاً لازماً لهذه الأمة بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (الأنبياء: ٩٢).

والسنة النبوية أكدت ذلك قولاً وعملاً، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»، وحقق صلى الله عليه وسلم هذه الوحدة فعلاً بالمؤاخاة بين المهاجرين



الأقربون أولى بالمعروف

1000

حالة من الغارمين



24834414 94064086
www.altakaful.com

@Takaful.Association
@altakaful





إفطار الصائم

أجرك أجزان



الكويت، فلسطين، العراق، الأردن اللاجئين السوريين، لبنان اندونيسيا، موريتانيا، دول افريقيا

1 8888 33
www.namaakw.net



نهتم بالإنسان